جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الموضوع:

العقلانية عند سبينوزا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص فلسفة القيم

إعداد الطالبة:

جهاد صغير بيرم

إشراف الاستاذ:

د.ضيف الله الخوني

لجنة المناقشة

أ. خوضر رياض	رئيسا
د. ضيف الله الخوني	مشرفا و مقررا
أ. مجكدود ربيعة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017

شكر وعرفان

الحمد لله المنعم المتفضل والذي بشكره تدوم النعم ، وبذكره تطمئن القلوب،

الحمد لله رب العالمين على عونه وتوفيقه لي على إنجاز هذا العمل ، أصلي

وأسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين

وانطلاقا من العرفان بالجميل فإنني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير وفائق الاحترام

إلى أستاذي الجليل ، الأستاذ الدكتور ضيف الله الخوني ، على تكرمه

الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما أحاطني به من إهتمام وتوجيه منذ أن

بدأت بإعداد خطة الرسالة، فله مني كل الشكر والتقدير والامتنان وجزاه الله

عني خير جزاء

كما أتقدم بجزيل بالشكر والعرفان للسادة أعضاء اللجنة المناقشة الموقرين،

وكل اساتذتي الفاضل في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، قسم الفلسفة ، وكل

طلبة تخصص قيم فلسفة

وإلى كل طاقم مكتبة الحسين وعلى رأسهم الأخ العيدي الحسين

وأتقدم بالشكر إلى أمي وزوجي الغاليين الذي كانا لي نعم السند في إنجازي لهذه

الرسالة

إهداء

إلى التي رسخت في نفسي محبة العلم الذي يسمو به الإنسان والتي لا يوجد معنى للحياة بدونها رمز الحب والعطف والحنان والدتي الحبيبة، جزاها الله خيرا وأطال في عمرها أحس خانتها

وإلى الذي احمل اسمه بكل افتخار ، إلى نور حياتي وزهرة عمري والدي أطال الله في عمره وجعله تاجا فوق رأسي

كما أهديه إلى عائلتي الصغيرة : طفلاي **"الياس وزياد"** حفظهما الله

وإلى من لا أملك غيرهم لكانوا لي سندا لي في الحياة إخوتي : **بثينة، مريم ، محمد، عبد الرحيم ، سيف الدين**

وإلى صديقاتي في المشوار الدراسي : **سمية وحسينة**، وصديقتي **آمال بن زاوي**

إلى كل من يحب الله ورسوله ثم العلم والوطن

أهدي هذا العمل المتواضع

مقدمة

عصر التنوير هي حقبة من تاريخ الفلسفة حيث شدد فيها الفلاسفة على العقل باعتباره الوسيلة الفضلى للمعرفة الحقة وكانت بداية هذه الفترة في القرن السابع عشر للميلاد برز فيها فلاسفة مثل ماركيز دو كوندرسيه، رينيه ديكارت، ماليبرانش..، تميزت هذه الحقبة بتقديس العقل بأنه ميزة تخص الإنسان ولكن الجهل والخرافة الممتدة مكن العصور الوسطى قد دفعت إلى إرهاب فكري في حق بعض الفلاسفة العقلانيين خاصة من طرف الكنيسة الكاثوليكية وهذا من أجل إبقاء الآخرين جهلة لتسيطر عليهم ضمن مفهوم الإيمان والجنة.

قابلوا ديكارت بصدر رحب لأن أفكاره تتوافق مع معتقدات الكنيسة وهو صاحب الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر..أنا موجود" وهو مؤسس العقلانية الحديثة وأهدى الكنيسة كتاب تأملات العقل.

على خلاف سبينوزا الذي نشأت مناوشات بينه وبين الطائفة اليهودية لأن أفكار العقلانية ومشروعها المعرفي في الوجود الذي كان يسعى به لقراءة تنطلق من إيمان راسخ بقدرة العقل الإنساني على فهم نظام الطبيعة قد دفعتهم لاتهامه بالإلحاد وهذا يعتبر من أهم الأسباب التي جعلت كتاباته غامضة قوبلت بالرفض وقوبل هو بالطرد، ساهم سبينوزا إعطاء مسار فكري فلسفي ثوري على المعتقدات الدينية الكلاسيكية.

هذا الذي يقودنا إلى طرح التساؤل حول **الدور الذي أعطاه سبينوزا للعقل في المسائل الشائكة التي ترتبط بالدين وخاصة اليهودية؟ وما التغيير الذي أحدثه في الفكر الفلسفي؟**

وتحت هذه الإشكالية تندرج مجموعة من الأسئلة:

- كيف أثرت حياته على فكره وكتاباته؟
- ما هو التصور العقلاني لله والوجود وفكرة الجوهر؟
- وكيف يمكن الدمج بين طبيعتين متضادتين (الجسم والنفس)؟
- ما الهدف من نظريته الأخلاقية؟
- هل الفلسفة السياسية كانت ذات طابع علماني بكل ما تحمله الكلمة من معنى؟

يشتمل هذا الموضوع على عدة فرضيات أهمها:

- علاقة الوجود الكوني بالوجود الإنساني.
- علاقة الوجود الإلهي بصدور المخلوقات.
- المنهج الهندسي الذي اتبعه في خط القيم الأخلاقية كان منهج صارم كما أراد له أن يكون.
- علاقة الدولة والقانون والدين بالعقل.

ووفقا لطبيعة الموضوع قسمت خطة تنطلق من مقدمة وفصلين ليرسو البحث في الأخير إلى الخاتمة بما هي دائما إجمال لأهم النتائج المتوصل إليها.

الفصل الأول؛ تطرقت إلى الخلفية التاريخية للعقلانية السبينوزية، وفي المبحث الأول دلالة العقل والعقلانية وتناولت فيه مختلف التعريفات السابقة في حقل الفلسفة للعقل والعقلانية وكان أهمها العقلانية عند سبينوزا كمذهب للمعرفة وفي الأخير استنتجنا كيف قسم اسبينوزا المعرفة العقلية وكيف يمكن تكوين الإدراكات، أما المبحث الثاني تناولنا فيه التطور الفكري في حياة اسبينوزا وتناولنا فيه حياته من الطائفة إلى الدولة وتشريد اليهود له وأهم المفكرين الذين عاصروه وعزلته وموته ومؤلفاته وكيف واجه صعوبات التعصب الفكري من أجل نشرها وفي الأخير أهم الفلاسفة الذين تأثر بهم.

أما الفصل الثاني الذي عنوناه بالملامح العقلانية عند اسبينوزا أدرجنا تحته أهم المظاهر العقلانية لفلسفة سبينوزا حيث حاولنا أن نبين أهم نقاط التي تظهر فيها هذه العقلانية عرضنا في المبحث الأول اللاهوت وبينا طرحه أساسا شاملا لقراءة الوجود وفي المبحث الثاني الأخلاق تطرقنا للمنهج الهندسي وشرحنا لماذا استخدمه لعرض أفكاره، كما وضحنا أن المعرفة العقلية هي التي تربط العواطف من أجل الوصول إلى السعادة، وفي الأخير مبحث السياسة وقد ورد فيه النظام الأمثل والعقلاني من أجل حكم سوي وكذا الدولة وكيفية قيامها وحاجة الإنسان للقانون وعلاقة الدولة والرعية وصولا إلى الخاتمة التي تلخص النتائج الشاملة المتوصل إليها.

ومن أهم الدوافع الأساسية وراء اختيارنا للموضوع أسباب ذاتية: مما له أهمية كبيرة في الفكر الفلسفي واختياري لاسبينوزا بالذات وضع نسق فلسفي منسجم وقيم قائمة على الوفاق العقلي والانسجام النفسي كما أنه فيلسوف يتميز فكره بالاعتدال فبين سطور كتاباته تجد خبايا معرفية وكل أفكاره تتسم بالعمق لا تزال تثير تساؤلات الدارسين. ومن الأسباب الموضوعية: لما للموضوع من أهمية في تاريخ الفلسفة فالعقلانية مذهب صارم يعتمد على الدقة وعقلانية سبينوزا هي مشروع فكري فلسفي ينطلق من الإيمان بقدرة العقل على فهم الوجود والنظام الطبيعي ويعتبر الفيلسوف الذي استخدم المنهج الرياضي في طرح أفكار أخلاقية لاهوتية بتلك الصرامة والعمق ويمكن القول بذلك الإبداع الفلسفي.

ولتحقيق هذا البحث عملت على استعمال المنهج التاريخي من أجل استقراء المفاهيم والمصطلحات الدراسية وأصل مصطلح العقل والعقلانية عند بعض المفكرين والفلاسفة لأن المذهب العقلي لم يكن من ابتكاره بل له جذور في تاريخ الفلسفة، وكما تعتمد الدراسة بشكل أساسي على المنهج التحليلي فحللنا أفكاره الوجودية والسياسية والأخلاقية للوصول إلى نتائج ما إن كان أساس فكره العقل أم لا واستخلاص النتائج والأهداف من هذه الأطروحة.

أما في ما يخص الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا:

- ✓ مهما حاولنا الإلمام بالموضوع تبقى مسائل أخرى جديرة بالاهتمام والتفصيل.
- ✓ على مدى تعاقب الأزمنة يبقى موضوع عقلانية اسبينوزا موضوعا مهما تختلف فيه وجهات النظر فكل مفكر يؤول أفكاره بشكل مختلف.
- ✓ صعوبة التعامل مع مؤلفات سبينوزا لأنها تتسم بالتعقيد والعمق.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نستذكر قول عماد الأصفهاني "إن رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لكان غيره هذا لكان أحسن".

الفصل الأول

الخلفية التاريخية للعقلانية سبينوزية

- ✓ المبحث الأول:دلالة العقل والعقلانية.
- ✓ المبحث الثاني: تطور الفكري لسبينوزا.

تمهيد:

مرت الفلسفة بعدة عصور منها الحصر الحديث أو ما يعرف بعصر العقل، أو الأنوار ومن بين الفلاسفة الذين برزوا في توجه المذهب العقلاني سبينوزا، فما هي العقلانية كمفهوم ودلالة؟ ومن هو سبينوزا؟.

المبحث الأول: دلالة العقل والعقلانية.

العقل عدة مفاهيم ودلالات في الفهم العام وخاصة في حق الفلسفة الذي يتمايز تمايز التوجهات المذهبية والفكرية وكذا من حيث الفيلسوف على وجه الخصوص فما هو تعريف العقل وماهي العقلانية؟

"العقل مفردة متواطئة الدلالات متعددة الأبعاد لذا يبدوا أمرا متعذرا التوصل إلى تعريف يقيني تام يستغرق بدقة كاملة طاقة التجريد هذه، ونلاحظ بداية استحالة إثارة التساؤل عن العقل خارج العقل وبالعكس، إن جميع التساؤلات تثار خارج العقل وداخله بواسطة العقل فالعقل يملك قابلية أن يتخذ ذاته موضوعا كما يملك قدرة التخارج نحو العالم واتخاذ معطياته كموضوعات"[1].

تشابه مفهوم دلالات العقل في كل من موسوعة الفلسفة العربية ومعجم جميل صليبا "هو الحجر والنهي وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة لأنه لا يمنع صاحبه من العدول عن سوء سبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود"[2]، والعقل بوجه عام ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ ويطلق على أسمى صور العمليات الذهنية بعامة وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة"[3]، ولكن في الموسوعة الفلسفية العربية جاء تعريف اللغوي على أنه "ليست علاقة العقل باللغة علاقة معجمية لسانية فحسب لأننا لا نعرف العقل عن طريق اللغة تعريفا يستنفر دلالاته على الرغم من استعمالنا مفردات اللغة في عملية التعريف (...) فاللغة أسيرة العقل لكن العقل ليس أسير اللغة (...)، الفلسفة العربية والعقل في اللغة العربية هو الربط والحجر والنهي معا للشرود والتسيب ويتجلى بهذه الدلالة العقل العلمي الذي يعقل

[1] معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، مجلد 1، ط1، 1987. ص 596.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 76.

[3] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1982، ص 121.

النفس ويمنعها عن التصرف على مقتضى الطباع (...) "أما في اللغات الأوروبية فتعتبر مفردة لوغوس **Logos** اليونانية ومفردة **Ratio** اللاتينية مفردتان تدلان على العقل والعلم والقانون والنظام".[1] فهذا دال على أن العقل يتغير مفهومه في عدة لغات من ناحية اللغة.

لا يختلف أحد حول عقل الفلسفة ولكن يختلف كل الناس تقريبا حول فلسفة العقل، فعقل الفلسفة ليس أسير فلسفة العقل أي نظرية المعرفة أو علم المعقولات إنما هو تجلي يتجاوز المعرفة إلى الكينونة وظاهرتها من ظاهر الإنسان إلى ظاهر الكينونة ذاتها فهو قادر على إثار السؤال عن معنى الوجود كينونة بقوة لا تقل عن قوة استفهامه عن معنى المعرفة بل لربما كانت ذاتية المعنى لا تقبل بحكم شموليتها أسر المعرفة فقط وإلا كانت كما العملاق في التفهم أو البحر في وعاء لعب الأطفال[2].

وبهذا تبين لنا أن معنى العقل في الفلسفة هو شامل لجميع مباحثها و كذا مختلف حسب هذا التباين "أما الفلاسفة فإنهم يطلقون العقل على معاني او هذه المعاني قولهم "إن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها و هذا الجوهر ليس مركبا من قوة قابلة للفساد وإنما هو مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله"[3]، و في التعريف يظهر لنا أن الفلاسفة مثل الفارابي، وابن سينا كما جاء في معجم جميل صليبا يرون بجوهرية العقل وأنه حقيقة الإنسان و هو ذاته ونفسه "أنا".

وثاني هذه المعاني قولهم أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة، والفرق بينه و بين الحس أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة و عن لواحق المادة أما الحس فلا يستطيع ذلك فالعقل إذن قوة تجريد تنتزع الصورة من المادة

[1] معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 996.

[2] المرجع نفسه، ص 599.

[3] جميل صليبا، ص 75.

و تدرك المعاني الكلية كالجوهر والغرض"[1] تبين لنا أن العقل هنا هو قوة تجريد تدرك المعاني و تمييز فيما بينها على خلاف الحس وله مراتب عند أرسطو وفلاسفة الإسلام.

عند أرسطو "قد تحدث عن مرتبتين للعقل":

- "العقل الفاعل Intellect agent: "أو القدرة التجريدية التي تحرر المعنى الكلي من توابعه الحسية الجزئية"
- العقل المنفعل Intellect passif: القوة التي تستقبل قدرة العقل الفاعل وتنطبع فيها الصورة".[2]

وكما وضح لنا أرسطو مرتبتي العقل على أن الأولى هي قدرة تجردية وثانية قوة مستقبل للصورة، كان ترتيب الفلاسفة، المسلمين للعقل مختلف عنه فقد توسعوا وكانوا دقيقين في ترتيبهم للعقل فكانت كما يلي:

- العفل الهيولي Intellegencemoterlelle: أو العقل المادي بلغتنا المعاصرة، أو العقل بالفطرة و القوة **(Intelligence en puissance)** أ] قابلية المحطية للإدراك لدى الإنسان و القانونية نظامية، المضمرة في الموجودات"[3]وفي معجم جميل صليبا يعرف العقل الهيولي "على أنه هو العقل الذي يشبه الصفحة البيضاء التي ينقش عليها شيء بالفعل"[4] أي أنه عقل الذي يكون خالي من أي صورة.

[1] المرجع نفسه، ص 75.

[2] معنى زيادة، موسوعة الفلسفية العربية، ص 599.

[3] معنى زيادة، موسوعة الفلسفية العربية، ص 599.

[4]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، ص 75.

- "العقل المكتسب (Intelligence Habitude): وعند جميل صليبا العقل الملكة المعرفة الأولية المستمدة من أفعال التعليم والتلقين المتنوع"[1]، أي المعرفة المكتسبة بالتعلم التي تستعد النفس لي التقائها".
- "العقل بالفعل (Intelligence en acte): اكتساب المعرفة والقدرة على استعمالها دون تعلمها مرة ثانية"[2] أي المعارف المكتسبة أو ما يعرف عند جون ديوي الخبرة وهي المعارف القبلية التي أصبحت مترسخة في الذهن ولادته حتى فتكون خبرة.
- "العقل الفعال أو المفارق Intelligence Active: المعقولية الخالدة أو الموضوعية اللامادية للعقل الذي يفيض ويحدد صور أو الماهية –نظام القانون- الكون و الفساد و لو كانت معاني الكلية للعقل متغيرة فاسدة لما أمكن التحدث عن وحدة النوع الإنساني بالتالي لا مجانية أو عبثية الكون".
- "العقل المستفاد Intelligence Aquise: امتلاك ناصية للعلوم و تمثلها بخصم دائم"[3] أي يمكن القول هو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لا تغيب عنه".[4]
- "والعقل الظاهر: (من افتراض الكندي): هو مرحلة فعلية العقل الفعال أي تخارجه أو صدوره من ذاته إلى العقل المستفاد ولربما العكس أيضا من العقل المستفاد إلى العقل الفعال، فهو توسط ظهري يرتبط مع مفهوم نظرية المعرفة التي تتخذ الرياضيات مقياسا لها.[5]

[1] موسوعة الفلسفية العربية، ص 599.

[2] المرجع نفسه، ص 599.

[3] نفس المرجع، ص 600.

[4] جميل صليبا، ج2، ص 76.

[5] معنى زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 600.

- العقل القدسي intellect saint: إذا أصبح العقل الإنساني شديد الاتصال الفعال كأنه يعرف كل شيء من نفسه سمي بالعقل القدسي[1]، و بهذا يمكن القول كما ذكر في موسوعة الفلسفية العربية "فتح عصر الفلسفة العربية –العصر الوسيط- باب العقلانية كقوة مطلقة بذلك أصبح طريق عصر العقل في الفلسفة الحديثة ممكنا".[2]

"والمعنى الثالث للعقل هو القول "أنه الإصابة في الحكم" أي التمييز الحق من الباطل و الخير من الشر، والحسن من القبيح و هذا التمييز لا يحصل على قياس وفكر بل يحصل مباشرة بالطبع، فكأن العقل كما قال الرازي غريزة يلزمها العلم بالأمور الكلية وبالهندسة كما أشار ديكارت إلى هذا المعنى بقوله أن القاعدة الأولى بطريقته هي أن لا يتلقى على الإطلاق شيئا على أنه حق ما لم يتبين ببداهة العقل أنه كذلك فالعقل إذن بهذا المعنى مضاد للهوى، لأن الهوى يضع المرء من الإصابة بالحكم"[3]، بمعنى الرابع هو أن العقل قوة للنفس المتهيئة لتحصيل المعرفة العلمية و معنى هذا هو المعرفة التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بعقله الطبيعي وهي لا تحتاج إلى أي معارف دينية كما يرى ابن خلدون و المعنى الخامس هو القول بأن العقل هو مكتسبات قبلية "المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض، مبدأ السببية مبدأ الغائية"[4]، والمعنى السادس هو أنه ملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة.

واللامعقول "ما يناقض العقل ومنه الخارق للعادة"[5] أما القول بالعكس بذلك شيء عقلي هو "المنسوب إلى العقل تقول المبادئ العقلية والعلوم العقلية، قال هيغل: "كل عقلي

[1] جميل صليبا، ج 2، ص 76.

[2] معنى زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 600.

[3] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص 86.

[4] نفس المرجع، ص 87.

[5] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص 160.

فهو موجود بالفعل، وكل موجود بالفعل فهو عقلي، والعقلي أيضا هو منطقي"[1]، والعقلية مجموعة الاستعدادات الفكرية والعادات الذهنية والاعتقادات الأساسية لدى الأفراد من الأفراد أو المجتمع من المجتمعات وتختلف العقليات باختلاف البيئات.[2] بما أن العقلية لها ارتباط بالعادات ومعتقدات المجتمعات.

وللعقل مذهب ظهر بشكل واضح في عصر الحديث وهم الفلاسفة الذين يرون بمردودية كل شيء للعقل و"لا محدودية سلطة العقل و منطقية معرفته، وتتخذ العقل عنوانا علنيا صريحا لها لذلك سميت مرحلتها بـ"عصر العقل"[3] ويعرف إبراهيم مذكور المذهب العقلي "بوجه خاص نظرية تفسير المعرفة في ضوء مبادئ أولية وضرورية وترى أنه لا سبيل إلى المعرفة بدونها لأن الحواس لا تستطيع أن تزودنا إلا بمعلومات غامضة ومؤقتة ويقابل المذهب التجريبي، من العقليين من يذهب إلى أن العقل وحده سبيل الإيمان ويرفض الحقيقة التي لا يغوها العقل، ويسمى أيضا للعقلانية وهو المصطلح كثر وروده أخيرا[4]، وهذا هو مذهب ديكارت واسبينوزا، وليبنز، وولف، وهيغل، وبهذا نتوصل إلى أن المذهب العقلي و يطلق عليه أيضا بالعقلانية إذا ما هي العقلانية؟

[1] جميل صليبا، ج 2، ص 89.

[2] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص 121.

[3] معنى زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 601.

[4] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص 178.

1. العقلانية Rationalisme:

"هي القول بأولية العقل و تطلق على عدة معان الأول القول أن كل موجود له علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا و له مرجع معقول.

والثاني هو القول إلى المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية و الضرورية لا عن تجارب لا تفيد علما كليا.

والثالث هو القول وجود العقل شرط في إمكان التجربة، فلا تكون التجربة ممكنة إذا كان هناك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس أي أن لا بد من أن يتحكم العقل في الحواس أوفي تجربة مبنية على فرضيات عقلية.[1]

والرابع هو الإيمان بالعقل و بقدرته على إدراك الحقيقة بسبب ذلك نظر العقلانيين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية وأن كل موجود معقول وكل معقول موجود (...) و العقلانية عند بعض العلماء الدين هي القول أن العقائد الإيمانية مطابقة لأحكام العقل و لهذه عقلانية ثلاثة أوجه: الأول هو القول أن العقل شرط ضروري وكاف لمعرفة الحقائق الدينية والثاني هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمبادئ العقلية، والثالث هو الدفاع "عن العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية".[2]

والعقلانية عند جون كوتنغهام في كتابه العقلانية هي "كلمة العقلانية **rationalisme** للقارئ العام هو ارتباطها بالصفة القريبة "العقلية" **Rational** والجذر الاشتقاقي الذي تشق منه كلتا الكلمتين بالصفة القريبة **Ratio** ومعناه العقل **Reason**

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، ص 90.

[2] نفس المرجع، ص 91.

وهكذا يفهم من كلمة "العقلاني" **Rationalist** عموما الشخص الذي يؤكد قدرات الإنسان العقلية تأكيدا خاصا ولديه إيمان غير عادي بقيمة العقل و المحاجة العقلية وأهميتها و على الرغم من أن هذه الفكرة العامة عن العقلانية"[1] يرى كوتنغهام أن هذا المعنى ليس دقيقا وأنه ليس كل من يؤمن بمبادئ العقلانية ويرى بأن العقل هو أساس المعرفة هو عقلاني ويرى أن سقراط يعد الأب المؤسس للفلسفة و يرى أنه ليس لأنه سلم بالعقل في تحليل مفاهيمنا وإخضاعها للتدفق لاقى حتفه من أجل اعتقاده ومسلماته.

ويقر أن العقلانية في الفلسفة هي مخالفة للنظرة العلمانية فيقول "في الماضي ولاسيما في القرنين السابق عشر والثامن عشر كان مصطلح "العقلاني" **Rationalist** يستخدم كثيرا للإشارة إلى المفكرين الأحرار من ذوي النظرة المقاومة للإكليروس والمقاومة للدين و اكتسب الكلمة أمدا من الزمن قوة ازدرائية واضحة وهكذا في سنة 1670، اتخذ ساندرسن "**Sanderson**"[(*)]، الذم و هو يتكلم عن "مجرد عقلاني، أي بالإنجليزية الصريحة ملحد من الطبعة الحديثة (...) فأن يكون المرء عقلانيا بالمعنى "الفلسفي" فليس ضروريا أن يتضمن ذلك بأي حال أنه منكر وجود الله أو حتى متشكك" في ذلك و على الضد، (...) فإن بعض من أشهر الفلاسفة العقلانيين قد وضعوا الله في الصميم من أنظمتهم الفكرية"[2]، و هذا ما سنوضحه لاحقا في عقلانية سبينوزا الذي اتهم بالإلحاد.

وبهذا يمكن اختصار مفهوم العقلانية كما يرى أستاذنا زروخي الدراجي في كتابه المذاهب الفلسفية الكبرى "العقلانية على هذا النحو تدل على قدرة الإنسان على المحاكمة الواعية بعيدا عن سيطرة المشاعر والعواطف والانفعالات والعصبيات والإيديولوجيات وعلى

[1] جون كوتنغهام، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1997، ص 13.

[*] - سيفن ساندرسن:15 نوفمبر1945،موضف في جامعة كاليفورنيا عالم اجتماع أمريكي تخصص علم اجتماع تاريخي

[2] نفس المرجع، ص 12.

الاحتكام الصائب و تعليل الآراء و ترشيدها و البرهنة عليها وبهذا تقودنا العقلانية إلى الاحتكام إلى المنطق العقلي في قبول استدلالات الآخرين أو رفضها وعن طريق العقل نلتمس الصحة في أفكارنا و في أفكار غيرنا".[1]

العقل عند سبينوزا: استخدم سبينوزا العقل هو وسيلة للمعرفة وسيلة على ضربين المعرفة الاستدلالية و لكنها تتصف بالنقص لأنها تقوم على علة وعلى ربط هذه العلة بالمعلول ثم المعرفة الحدسية المباشرة وتتجه إلى ماهية فهي كاملة لأنها تعتمد على حدس العقلي المباشر"[2] إن فلسفة سبينوزا هي عبارة عن نسق معرفي ومشروع كان أساسه العقل حيث جعل من العقل الإنساني لفهم نظام الطبيعي الشامل وذلك ناتج عن إيمان بقدرة العقل، وهو من رواد المذهب العقلي الرياضي الذي يمثله ديكارت، "يرى أن كل علم من العلوم – وبخاصة علم الطبيعة- ينبغي أن يتخذ صورة علم الرياضة أي صورة نظام واضح منبثق من مبادئ و قائم على البرهان"[3].

وقد أقام في نظريته للمعرفة التي كان أساسها تطهير العقل من الأوهام لذا قال فيكتابه رسالة في إصلاح العقل "لا بد قبل كل شيء من التفكير في وسيلة لشفاء العقل وتطهيره قدر الإمكان حتى يوفق في إدراك الأمور على أحسن وجه ودونما خطأ"[4]، والوسيلة لذلك هي التمييز بين المعرفة الحقة و المعرفة الخطأ و ذلك بأن "يقسم سبينوزا المعرفة إلى ثلاثة:

---

[1] زروخي الدراجي، المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، 2015، ص131.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001، ص 210.

[3] المرجع نفسه، ص 65.

[4] باروخ سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر ، تونس دون طبعة، دون تاريخ، ص 31.

النوع الأول: وتنقسم إلى معرفة تكونها عن الأشياء بواسطة الحواس و تتمثل في الأشياء الجزئية مختلطة لا ترتيب فيها، ثم معرفة سماعية تؤدي بنا إلى تكوين فكرة عن أشياء مشابهة لما تتخيله عنها.

النوع الثاني: وهو ينشأ من وجود أفكار لدينا مشتركة بين جميع (الناس) و أفكار كافية عن خصائص الأشياء، و يسميها معرفة بـ "العقل".

النوع الثالث:و هو "الحدس" ينتقل من فكرة كافية عن ماهية المطلقة لبعض صفات الله إلى المعرفة الكافية لماهية الأشياء".[1]

ويبين سبينوزا مستويات أو أنواع المعرفة كما يلي:

أ. معرفة سماعية: هي المعرفة التي تنتقل عن طريق السمع بين الناس.

ب.المعرفة المستمدة من التجربة البحتة هي المعرفة التي لم يتحقق العقل من صدقها رغم أننا لم نعثر على ظواهر ووقائع تعارضها.[2]

ج. المعرفة الناشئة من الاستدلال: المعرفة التي تتحصل عليها عن طريق الاستنتاج.

د. المعرفة الحدسية "العلم الحدسي" هو العلم الذي ينشأ من الإدراك شيء من خلال ماهيته أو سبب قريب العلة القريبة و هو علم مباشر".[3]

و بناء على هذا يتمظهر لنا الخطوط الأولى لنظرية المعرفة سبينوزا التي كانت ذات نسق يتميز بدقة اللغة و استخدام العقل وسيلة لإدراك هذه المعرفة وجعله محور الأساسي

[1] أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2011، ص 97.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 197.

[3] نفس المرجع، 198.

لطموحه المعرفي العقلاني ابتداء أو لا بتطهيره من الشوائب ثم بدء بمشروعه الفلسفي العقلاني الذي سنقوم بشرحه في الفصل الثاني.

المبحث الثاني: التطور الفكري لـ سبينوزا

لا بد أن يكون لكل فيلسوف بيئة لها الفضل في إنشاء فلسفته، ومن بينهم سبينوزا فكيف أثرت هذه البيئة في فكره؟ وكيف نسج مؤلفاته الفلسفية وهل كان لحياته المعيشية نصيب في هذه الأفكار؟.

1. حياة سبينوزا وتأثراته الفكرية:

أولا: حياته

سنتطرق في البداية إلى سيرة حياة سبينوزا التي نرى كيف ترعرع وكيف أثرت على سياقه الفكري "في الرابع و العشرين من نوفمبر سنة 1632 ولد باروخسبينوزا، أو بندكتوس سبينوزا من أسرة يهودية"[1] ولد في أمستردام كان والده من تجار اليهود الناجحين "سمي عند ولادته باروخ **Baruch** وكانت أسرة سبينوزا من الأسرة الإسبانية اليهودية المهاجرة، من فئة تسمى المارانو **Marranos** واهتم هو اسبانيا الذين اضطروا تحت ضغط الحكام، إلى إخفاء دينهم الحقيقي و اعتناق الكاثوليكية مؤقتا، ثم عادوا إلى الكشف عن حقيقتهم حيث سنحت لهم فرصة الهجرة (...) وقد تلقى اسبينوزا تعليمه في المدرسة التلمودية المحلية بأمستردام، إذ ألحق بها أهله لكي يتوثق ارتباطه بطائفة اليهودية بتعلم لغتها العبرانية و تراثها"[2]

أراد والد سبينوزا له أن يصبح "حاخاما" يعرف الشريعة اليهودية و لكنه بعد أن درس التراث "لم يحقق إلا نتيجة عكسية إذ أن الطابع اللاهوتي المحافظ على تعاليمه في هذه المدرسة قد دفعه إلى الثورة عليه".[3]

---

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 2016، ص 18.

[2] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 21-22.

[3] نفس المرجع، ص 22.

وقد عرف على امستردام أنها عاشت في القرن السابع عشر فترة زاهية "حيث توافرت لديها عوامل سياسية واقتصادية تضافرت في سياق مرحلة تاريخية ملائمة جعلت من هذا البلد (هولندا) الحديث الاستقلال، قوة تجارية عالمية ونموذجا ثقافيا يضاهي المراكز الثقافية الأوروبية التقليدية على أكثر من صعيد ففي هذه المرحلة تمكنت الأراضي الهولندية من التصدي للاستعمار الإسباني (...) وساعدت الثورة الهولندية على استقطاب الطبقة التجارية.[1]

هذه الدوافع التي جعلت والد سبينوزا يرحل إلى امستردام الذي كان يدعى "ميكائيل دي سبينوزا" الذي كان متدينا محافظا يشغل مكانه مهمة في أوساط طائفته"، كما في مجلس المجمع اليهودي الذي انتخب لعضويته مرتين"[2] ولقد كان "يتمنى أن يرى ابنه أحد الخامات المرموقين، و لكن باروخ كان أشد حبا للحقيقة منه للنجاح، فابتعد عن الدين وعن عالم المال في آن واحد و كرس جهوده للبحث عن الحقيقية عن طريق التأمل والدراسة" و لا بد أن نعرج إلى ذكر أن أوروبا في ذلك الوقت كانت تعاني من التعصب الديني "فقد تسبب خروج المسلمين من إسبانيا و البرتغال أي من دولة الأندلس الزاهرة في أن تنتهز محاكم التفتيش النصرانية الفرصة لكي تنشر حكما دمويا يسوده التعصب الديني و الانتقام من المسلمين و من غير النصارى على الإطلاق مما جعل الحياة لغير النصارى غير مريحة"[3]، بعد شرح أسباب التي دفعت بعائلة سبينوزا إلى الرحيل من إسبانيا إلى هولندا من أجل حرية الاعتقاد إلى أن سبينوزا نفسه وقع في مأزق الذي هربت منه عائلته ويتسنى لنا شرح هذا في الأسطر القادمة من هذا المبحث، وهذا لأن أب سبينوزا كان ذا شأن وتاجر يملك شركة مرموقة ومكانة جعلته يريد أن يصبح ابنه ذا شأن في هذه الطائفة لكن سبينوزا لم يرد أن يتقيد بحكم

[1] عبد القادر جموسي ، حياة سبينوزا، من الطائفة إلى الدولة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2012، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص 18.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 186.

الفكري الذي تفرضه عليه مدرسة والتعاليم اليهودية بل بدأ في التساؤل وهذا دفع معلميه إلى الانزعاج منه "اتجه سبينوزا إلى دراسة فلاسفة اليهود وعلى رأسهم موسى بن ميمون لكنه لم يجد في أعمالهم ضالته المعرفية الكافية لتجيب عن قلق أسئلته الوجودية والفكرية الكبرى فكانت مساءلته الجريئة مصدر إرباك وإزعاج لمعلميه لما تطرحه من قضايا مستعصية على أي فكر متزمة جامد"[1] تعلم سبينوزا وهو في سن السابعة في مدرسة المحلية السابق ذكرها تعلم فيها اللغة العبرية، وفن التجارة، و لقد كان نابغا منذ صغره يتمتع بشخصية قوية تتمتع بميول نحو الاستقلال في التفكير تعلم سبينوزا على يد مناس ابن اسرائيل و شاول ليفي مورتيرا"الذي ولد في البندقية" ودرس الفلسفة والطب على يد الطبيب البرتغالي الشهير باسم دكتور مونتالو"[2] ومناسى ابن اسرائيل هو مؤسس الصحافة باللغة البرية و تخص بها الصحافة المكتوبة "وهو مؤلف و دبلوماسي معروف بنزعة المعتدل و انفتاحه على الحياة الفكرية والفنية (...) مورست عليه عقوبة الحرم مدة وجيزة (عام 1630) لانتقاده تصرفات شركة الهند الشرقية، وذلك رغم مكانته العلمية و خطوته في أوساط الجالية اليهودية"[3] وعاصره سبينوزا العالم الطبيعي المشهور وهيجنز وعالم "بيولوجي ليفنهويك" وفي الفن رامبرانت الذي رسم صورة لسبينوزا "وفي ميدان الفلسفة كانت هولندا هي البلد الذي آوى ديكارت حيث هاجر من فرنسا، كما كان الفكر الحر، الخارج على التقاليد السياسية و الدينية، أمرا مألوفا و إن كان المفكرون المتحررون لقوا رغم ذلك نصيبهم من الاضطهاد".[4]

[1] عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، مرجع سابق، ص 18.

[2] المرجع نفسه، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 20

[4] نفس المرجع، ص 16.

في 1649-1654 بدأ سبينوزا في ممارسة التجارة في الشركة أبيه "حيث أبدى كفاءة ملحوظة، فشكلت نشاطاته التجارية ملاذا تحرر بواسطته من ضغوطات طائفته الدينية و ملاحقتها".[1]

و كان نزوع سبينوزا ثورة على التقاليد قد أزعج جالية اليهودية رغم حنكته لأنهم خشوا على سمعتهم و مصالحهم في المجتمع اليهودي و لقد ارتاد سبينوزا حلقات كانت تدرس فيها أفكار ديكارت التي تأثر بها وهذا لأنه تأثر بعد انفتاحه على العالم الخارجي بفضل التجارة فتعرف و كون صداقات مع نخبة من المسيحيين و خصوصا المتحررين من الطقوس الدينية، و كذا الطائفة المنوية التي تتميز بالبساطة في أداء طقوسها "و هي طائفة تنسب إلى سيمون مينو"**Simon Menno**"(*)، الذي قام في بوهيميا في أواخر القرن السادس عشر يدعو إلى الحرية الدينية"[2] و هنا وضحنا أن سبينوزا لم يكن زاهدا منعزلا كما يقول فؤاد زكرياء "فالصورة الأولى اليت ينبغي أن تمحى، و نحن بصدد البحث في الحياة اسبينوزا هي صورة الفيلسوف المعدل أو الزاهد كراهية في الحياة، والصورة الثانية التي ينبغي إزالتها هي صورة المفكر المنعزل المتباعد عن أحداث عصره"[3]، كما أن المنويين والجمعيين كانوا مهتمين بكل جديد في العلوم والفلسفة التي كان رائد فيها روني ديكارت الذي كما جاء في كتاب تكوين العقل الحديث "ثورة ديكارت جاءت مسرعة في أعقاب هذا الاكتشاف –وكانت ثورة أهول أثرا، إذ جعلت مصير أرسطو أسوء من مصير بطليموس (...) أبعد أرسطو وأطرحت جانبا جميع مؤلفاته باعتبارها غير واردة و عديمة الأهمية واحتلت الرياضيات محل

[1] عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، مرجع سابق، ص 19.

[*] - 1496 a witmarsum (pays –Bas) etmort 31 janvir 1561: Simon Menno

[2] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 27.

[3] نفس المرجع، ص26.

الغايات"[1] وهنا يظهر لنا شدة تأثر سبينوزا بعالم خارجي المتحرر وأفكار ديكارت الجديدة والرائدة ولهذا أدرك الفيلسوف أنه يجب أن يتعلم اللغة اللاتينية لأجل أنها لغة العلم والفلسفة آنذاك "ومع تأسيس المدرسة اللاتينية على يد الطبيب "فرانسيسكون" فإن دن إنده الذي كان نشيطا في دوائر المجتمعيين ومعروفا لديهم بأفكاره التحريرية التي كانت تصل أحيانا إلى حد الطوباوية"[2].

كانت مدرسة دن إنده تضم العديد من أبناء الأسر الراقية في هولندا و كذا أبناء الجاليات اليهودية وكان يعلم اللغة اليونانية واللاتينية والفلسفة وارتاد سبينوزا هذه المدرسة و كان يلقي رعاية خاصة من طرف الطبيب لأنه كان من الطلاب المتفوقين تلقى "على يد فان إنده، مبادئ الفلسفة الأسكولائية المدرسة) وفلسفة ديكارت، ومبادئ العلم الحديث، الذي لم يكن سوى علوم الهندسة والرياضيات وفلسفة الطبيعية التي اشتهر بها علماء العصر الكبار، وأمثال غاليلي غاليلو وفرانسيس بيكون وتوماس هوبز روني ديكارت وكريستيان هيجنز"[3] تأثر سبينوزا بمعلمه وقد ذكر أن فلسفته كانت من إثر تعلقه بمعلمه وتعلم اللغة اللاتينية على يد ابنته التي رغب في الزواج بها إلا أنها رفضته و تزوجت غيره ليبقى سبينوزا أعزب طول حياته واتهم معلمه فان دن إنده بالإلحاد "ربما كان حكما مبالغا فيه، غير أن الأمر الذي لا شك فيه هو أنه كان من النفوس الثائرة على التقاليد وأن سبينوزا بثورته"[4]، و في الأخير شنق في سجن لاباستيب في نوفمبر 1664 وذلك لأنه دبر مؤامرة ضد ملك فرنسا و يعتبر فان دن إند أن له افكار سياسية والاجتماعية وفي مجال الفن تتسم بالتحرر.

---

[1] جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ج1، تر: جورج طعمه مرا وبرهان الدين الرجاني، دار الثقافة، بيروت، ص 338.

[2] عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، مرجع سابق، ص 21.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

[4] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 22.

كان سبينوزا من المفكرين الذين يدعون إلى نبذ المال و الدعوة إلى الزهد و لكنه على خلاف غيره من المفكرين لم يكن قولا فقط بل فعل ذلك حقا "وبطريقة تدعو للإعجاب: فبعد وفاة أبيه، حاولت شقيقتاه سلبه حقه في الميراث، فاحتكم إلى القضاء الذي حكم لصالحه و بعد صدور الحكم فاجأ الجميع بتنازله عن نصيبه في الميراث (...) فحرص قبل تنازله على أن يثبت حقه الشرعين ثم ينازل بعد ذلك، متعمدا أن يثبت عدم اهتمامه بالقانون أو الشريعة القائمة، و أن يؤكد أنه تنازل إيمانا منه بالمبدأ ذاته رغم كون القانون مؤيدا له، وهذا يعني أن سبينوزا كان يحب أن يثبت أن له مبادئ الخاصة وأن أولياته هي البحث عن المعرفة وليس المال.[1]

ومن المعروف أن سبينوزا قد كان ذا صلة بكل الجمعيات ذات آراء تحررية وكان له الدور الفعال كما أنهم استفادوا من آرائه وكتاباته "كانت له شهرته الكبيرة في هذه الأوساط وكان أثناء حياته شخصية هامة يسعى إلى لقائها كثير من مريدي الثقافة في كافة أنحاء البلاد الأوروبية انظم سبينوزا إلى الجمعيات ذات طابع تحرري كما سلف ذكره وهي جمعيات".[2]

كما تسعى إلى نشر آرائها الثقافية والدينية والفكرية عن طريق إنشاء طائفة جديدة، و هي كانت تعبر عن آرائها الجديدة بطريقة دينية وكان سبينوزا يمارس نشاطه فيها التي كانت ذات طابع ثوري.

[1] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

كانت الجمعيات تضم أصدقاء سبينوزا الذين يمثلون النخبة من المفكرين المتحررين و نذكر منهم لودفيج "**lodevijk Meyer**"(*)، وهو طبيب يحب الآداب آنذاك، وسيمون دي فريس "**Simon de Vries**"(**)، الذي سبق و ذكرناه أنه أراد أن يورث سبينوزا و كان من أشد المعجبين به، و جارج جللس "**JarigJelles**"(***)، الذي ترجم مؤلفات سبينوزا إلى الهولندية "على أن مكانة سبينوزا العلمية لم تقتصر على تلاميذه المباشرين و أصدقائه الشخصيين فحسب، و إنما ذاعت شهرته بين كثير من كبار رجال عصره سواء في هولند و في خارجها".[1]

و نخص بكره كما جاء في كتاب فؤاد زكرياء سبينوزا أن أصدقاء من الحكام الذين كانوا يريدون مناقشته في المسائل العلمية و كان صديقا لحاكم هولندا المشهور يان دي فت **Jen de Vit** الذي كان يقف في وجه التعصب الديني وله نزعة تحررية يأخذ برأي سبينوزا في الحكم "وقد سعى كثير من علماء العصر إلى الاتصال بسبينوزا وتبادل الأفكار معه (...) إضافة إلى هذا كله كان ليبنتس من أكثر الناس حرصا على الاتصال بسبينوزا والإفادة منه فكريا"[2] إلا أن سبينوزا كان يبدي حذره منه ويحاول دائما أن يفهم شخصيته وأفكاره قبل أن قدم مؤلفاته له وكان يؤكد ذلك دائما لتلميذه **Tshirnhaus** وهو الذي كان واسطة بينهما لكن ليبنس قد سافر إليه وتناقش معه ويرى فؤاد زكرياء أنه لسبينوزا فضل كبير عليه وتأثير في آرائه ولكنه لم يقر بها أو اعترف بقليل منها فقط وهذا لأن شخصية سبينوزا كانت تحوم حولها شبهات.

*-lodevijk Meyer: 18 october 1629 Amsterdam –buried 25 novamber1681 was a dutch physician.classi cal scholar translator lexcographer.and playwright .he was one of the more prominent members of the circle around the philosopher bendictus de spinoza

**-Simon de Vries: 1575-1629 un graveuret maitre écrivain actif à paris et dans le provincen unies .

- ***JarigJelleM:1620-22februari 1663 was eenkoopman uit amsterdam die deel uitmaakte van de viendenkring rond de filosoof spinoza

[1] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

2. تشريد اليهود له:

لقد كان مشروع المعرفي للسبينوزا الذي جعل من العقل أساس له وثورته على المعتقدات الصماء في التلمود اليهودي والكتاب المقدس الذي لم يخرج إلى نور التحرر بل ظل في عتمة الخامات المتعصبين، وحينما ثار سبينوزا على هذه المعتقدات تم اتهامه بتعاليم الإلحاد ودرس اللاهوت اليهودي بعقل نقدي حيث أنه كون فكرة أن الطائفة اليهودية غارقة في دغمائية الخرافة وجهل والتقليد الأعمى.

"يناقش "فوير **Feurer**"[*] الأسباب التي أدت إلى توقيع عقوبة الجرم على سبينوزا فيستبعد أن يكون تلك الأسباب دينية فحسب فالاختلاف في معتقدات اللاهوتية وحدها ليست في نظره تفسيرا كافيا لهذا الطرد، فقد قدمت إليه رشوة لتغيير موقفه ولو كانت المسألة خلافا في العقائد وحدها لما حاولت الطائفة اليهودية تقديم الرشوة (...) السبب حقيقي و لهذا طرد هو نزعة سبينوزا التحررية في آرائه السياسية الاجتماعية وهي نزعة تعد خطر على الاتجاه المحافظ بين رجال الدين اليهود"[1].

و من خلال قراءتي للكتب يظهر أنه كان سبينوزا رافضا لفكرة شعب الله المختار كما أنه يرفض شراكة الهند الشرقية التي كان يرى أنها قائمة على الاحتكار وكان سبينوزا من أتباع نظام الجمهوري و اقتصاده، من أتباع يان ديفيت "و النتيجة الواضحة التي تستخلص من هذا التحليل أن سبينوزا لم يطرد لعقائده وآرائه فحسب، بل طرد، أيضا لأن أفكاره

[*] - فوير :لودفج اندرياس فويرباخ فيلسوف الماني ولد في 28يوليوفي مدينة لاندسهوت بولاية بافارياالالمانية وتوفي في رانخنبرغ في 13 سبتمبر 1872.

[1] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 224.

الاقتصادية والاجتماعية كانت تهدد المصالح التجارية المسيطرة على يهود أمستردام تهديدا مباشرا".[1]

حوكم سبينوزا من طرف المجتمع اليهودي الذي ترأسه منسى بن إسرائيل تمت محاكمته عبر مراحل و قد دعوه إلى التخلي عن أفكاره وكذا بعد الاستماع إلى التهم المنسوبة إليه و كانوا في حذر تام وخوف من الفضيحة لأن اليهود في تلك الفترة كانوا في مرحلة حساسة "أن وضع الجالية اليهودية كان دقيقا ويحتاج إلى توازنات أكثر لاعتبارات متعددة على سبيل المثال، كان الوجود اليهودي بأمستردام محكوما بمدونة سلوك تربطه مع السلطات الهولندية يلتزم اليهود بمقتضاها باحترام قوانين الدين الموسوي وعدم المس بثوابت الدين المسيحي وقد عرف هذا القانون المنظمة لحريات اليهود في هولندا باسم قانون "**Remonstrantie**"[2] و كان كل من يعترض هذا القانون معرض للموت أو العقوبة الجسدية حسب الجريمة المرتكبة و كان هذا القانون ينص على اعتراف جميع اليهوديين بوحدانية الله و الإيمان و بموسى و الأنبياء و الحياة الآخرة و على الرغم من أن السياسة آنذاك كانت جمهورية متسامحة إلا أن اليهود الملحدين "حكم على سبينوزا بالطرد مخالفا بذلك سياسة التسامح الجديدة للحكومة وليس أدل على ذلك من أن ديفيت، الزعيم الجمهوري، قد منح اسبينوزا معاشا بعد طرده و أن الحكومة حرمت على المحافل اليهودية ممارسة حق فرض عقوبة الجرم بضع سنوات بعد ذلك"[3] وفي كتاب فؤاد زكرياء يضيف في بحثه في أحد المقالات التي درجت فيه أنه في ذلك الوقت كانت تتم مناقشة مسألة إعادة اليهود إلى انجلترا وهو سبب الذي دفع سبينوزا للصمت على طرد اليهود له.

[1] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 224.

[2] عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، مرجع سابق، ص 25.

[3] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 244.

وهناك رأي مخالف يرى بأن سبب طرد اليهود لسبينوزا هو وضع الاقتصادي المتأزم الذي خلفه والد سبينوزا إثر موته "صدر قرار العصر في 27 يوليو 1656 عن الكنيس اليهودي بأمستردام في غياب سبينوزا الذي لم يجشم نفسه عناء الحضور"[1] وغادر سبينوزا الطائفة اليهودية ولم يكف عن نشر أفكاره التي نبذته بها الطائفة اليهودية بعد عدة محاولات منهم لكي يتراجع عنها "فصدرت في حقه الإدانة التالية "باسم الملائكة والقديسين فإننا نفصل ونعلن هذا الشخص المدعو سبينوزا إننا نصب عليه كل اللعنات (...) و إننا لنخبر الجميع بأنه ممنوع على أي شخص أن يتحدث معه شفاهة أو يراسله كتابة وممنوع على أي شخص أن يقيم معه أي علاقة أو يقدم له أي معونة، و ممنوع على أي شخص أن يشكل معه تحت نفس السقف و أن يقرأ له أي مقالة أو كتاب"[2] تجاهل سبينوزا كل قرارات الطائفة اليهودية و اتجه إلى حياة جديدة يحاول فيها محاربة الطائفية وبدء بتغير اسمه من باروخ سبينوزا إلى بندكتوس سبينوزا ويعتبر حرم سبينوزا تغييرا أو منعطفا في مساره الفكري حيث أنه ثار خارجا عن الطائفة بعض إرادته حيث أنه أصبح يأدي مناقشته بشكل متحرر دون الاكتراث بالطقوس و الشعائر الدينية.

"ظل سبينوزا يعتمد على نفسه بإعطاء دروس خاصة في الفلسفة الديكارتية ومزاولة حرفة صقل العدسات و في ذلك إبان توطدت علاقته مع العديد من رجالات العلم والفلسفة، نذكر منهم على وجه الخصوص، يارخ يليس الذي سيصبح راعي أعماله فيما بعد، وسيمون دوفريس الذي سيوصي لسبينوزا، بمنحة سنوية ضمن ميراثه بعد وفاته، اعتراضا بقيمة الفيلسوف ودعما لأفكاره والطلائعية الجديدة.[3]

[1] نفس عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، مرجع سابق، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 32.

3. مؤلفاته:

نشر سبينوزا خلال حياته كتاب "مبادئ الفلسفة الديكارتية وكتاب البحث اللاهوتي السياسي إلا أن هذا الأخير كان حريصا لم ينشره باسمه نشر هذا الكتاب في 1670 طبع في هامبورج "وتضمن بحثا مفصلا لموضوع حرية الفكر ولاسيما في الموضوعات الدينية و يهدف إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة ويحمل بشدة محل كل حكم سياسي يدعي أنه يستمد سلطته من المصدر الإلهي".[1]

أما كتاب مبادئ الفلسفة الديكارتية نشر هذا الكتاب عام 1663 و يتمحور الكتاب على عرض لأفكار ديكارت ومنهجه الهندسي "أظهر سبينوزا من ثنايا هذا المؤلف، مقدرة فائقة على تناول فيلسوف آخر بالبحث والاستيعاب، ومنه ثمة التجاوز"[2] تناول هذا الكتاب ملحق بعنوان الأفكار الميتافيزيقية مبينا فيه مبادئ فلسفة الديكارتية و كذا صعوبة تناول الأمور الميتافيزقية و طرح فيه أولا أسئلة حول الكائن و انفعلاته و ثانيا فتضمن الأسئلة حول وجود الله و حول الخلق و حول الروح الإنسانية.

وبعد وفاته نشر له أصدقائه في 1687 مجموعة من مؤلفاته "بعنوان المؤلفات المخلفة **Operaposthuma** وذكر اسم المؤلف بحروفه الأولى فقط **BDS** وكان ذلك المجلد يحتوي الملفات التالية:[3]

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

[3] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 32.

الأخلاق:

كان ذا منهج هندسي ونستطيع القول أنه أخذ منه وقتا إذ لم يكن معظم حياته فقد كان يريد نشره في 1675 لكنه الجدل الذي حدث عند نشر كتابه البحث اللاهوتي السياسي جعله يتراجع و أمضى حياته في صقله وتهذيبه حتى مات و للكتاب خمسة فصول تحدث فيه عن الله و أنه جوهر و أصل الوجود و أنه الواحد و معنا تظهر المفارقة حيث أن بعض قراءه اتهمه بالإلحاد و البعض الآخر وصفه بالحب الشديد لله"، و الثاني في طبيعة العقل و أصله، و في طبيعة الانفعالات و أصلها و في عبودية الإنسان أو قوة الانفعالات، و في حرية الإنسان أو قوة العقل و سنتحدث عنه كثيرا في الفصل الثاني من المبحثين الأول و الثاني.

البحث السياسي:

هذا الكتاب لم يتممه سبينوزا "اسبينوزا لم يكن قد راجع الأجزاء التي ألفها بدقة، بل ترك الكثير منها غامضا".[1]

ولم يكتب الكتاب بحرية و ذلك لأن الوضع كان متوتر و أقل حرية بسب استرداد أسرة أورانج الحكم بين فيه أنواع الحكومات و سياستها، و أنهاه بالديمقراطية التي كان يفضلها بأنها أحسن حكم وسنوضح في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

إصلاح العقل:

"مؤلف منهجي ألفه على غرار ما فعله ديكارت "**Descartes**" في "المقال في المنهج" و الأرغانون الجديد لفرنسيس بيكون **Bacon** والبحث عن الحقيقي لمالبرانش

[1] فؤاد زكرياء، اسبينوزا، مرجع سابق، ص 32.

Malbranche" لم يكمله ثم تركه ناقصا بعد وفاته و لهذا الكتاب عنوان فرعي إضافة إلى عنوانه الرئيسي جاء فيه: أفضل السبل المتعبة للحصول على المعرفة الصحيحة حول الأشياء".[1]

الرسائل:

هي خمسة و ثمانون رسالة بعد أن كشفت فيما بعد و كانت تكشف الجزء الغامض من حياة و شخصية سبينوزا و كانت هذه المراسلات بين أصدقائه الذين كانوا يفهمونه حيث أنه في بعض الأحيان كان يشرح آرائه المطروحة في كتبه و كانوا أكثر الناس فهما لما يكتبه وثانيا قرائه الذي كان حريصا قدر الإمكان في رده عليهم حيث يكتب لهم قدر فهمهم.

رسالة موجزة حول الله و الإنسان و سعادته:

كتب فيه إلى أصدقائه المسيحيين ذوي الفكر المتحرر تناول فيه "نظرته للوجود و الموقف الإنساني من هذه النظرة و تأثره بانفعالاته المتنوعة في رؤيته الوجودية ثم سلوكه في حياته وفقا لتلك النظرة".

4. عزلته و موته:

بعد الاضطهاد الذي لاقاه سبينوزا من قبل الكنس وطائفته و أهله و أصدقائه حتى أنه "كان سبينوزا يسير ذات ليلة في أحد الشوارع هاجمه وغد متدين يريد إثبات تدينه بالقتل و الجريمة و طعنه في خنجر واستدار سبينوزا بسرعة وأسرع في الهرب و الدم يجري من

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 27.

جرح صغير في رقبته و انتهى بعد هذا الحادث إلى الاعتقاد بالخطر الذي يهدد حياة (...) واستأجر غرفة هادئة في طابق علوي لمنزل يقع في شارع بعيد عن امستردام"[1]

أحبت أسرته سبينوزا و كان يعيش في كآبة و حزن و أحيانا لا يغادر غرفته إلا بعد ثلاثة أيام كان يكسب قوته من صقل العدسات، و أحيانا كان تدعوه الأسرة لمجالستهم و كانوا يحبون حديثة و مجالسته و بعد أن انتقل معه رينسبرج و انتقل معه سبينوزا قامت الجمهورية الهولندية باغتيال صديقه ديوايت و أخيه وذلك بتهمة أنهم هم سبب هزيمة القوات الهولندية أمام فرنسا و كانت فاجعة سبينوزا و هذا جعل من البلاد أقل أمنا حيث "أن استرداد أسرة أورانج للحكم وقضاءها على عهد دي فيت الجهوري قد جعل الجو أقل ملائمة لآرائه المتحررة مما كان من قبل بكثير".[2]

وبعد هذا الوضع بإصرار من أصدقائه منهم عمدة أمستردام في منزل الرسام فان دير سبيك حتى موته.

ونود الإشارة إلى "أن نؤكد في هذا كله هو أن سبينوزا لم يكن في حياته ذلك الزاهد في الحياة عن إنكار أو كراهية لها، كما أنه لم يكن ذلك المفكر المنعزل الغارق في تأملاته بين جدران أربعة، بل كان محبا للحياة حريصا على مشاركة في شؤون مجتمعة والتفاعل الإيجابي بها، و لم يكن في ذلك بالطبع ما يتنافى مع رغبته في التفرغ لعمله العلمي بالاعتزال عن الناس من آن للآخر فترات طويلة"[3]، كما ورد من قبل لم يكن سبينوزا كما كنا قد ورد في أذهاننا عنه من قصص أنه منعزل و مشرد بل كان له أصدقاء من ذوي النفوذ

[1] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 82.

[2] فؤاد زكرياء، إسبينوزا، مرجع سابق، ص 32.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

يحبونه و صديق وفي له موردا آمنا بعد وفاته و عرضة عليه الكثير من فرص العمل كأستاذ في الفلسفة بجامعة هايد ليبرج و لكنه اعتذر وفضل حياة هادئة.

"قضى سبينوزا أيامه الأخيرة طريح الفراش مرض في منزل عائلة الرسام فان دير بيك، و تحت رعاية زوجة هذا الأخير ويرجعا لعديد من الباحثين أن يكون سبب مرضه الذي دام أكثر من عشرين سنة، هو استنشاقه لغبار زجاج العدسات التي كان يصقلها، فيما يذكر صديقه شولر في رسالة إلى ليبنتز (...) أنه قلق على صحة سبينوزا التي باتت تسوء بشكل كبير ومتسارع بسبب مرض السل الرئوي...الذي ألم به و هو مرض وراثي في عائلته على حد قوله"[1]

"إذن فحياة سبينوزا لم تكن حياة فيلسوف تخصه هو فحسب بل حياة الإنسانية جمعاء في معاناتها مع الممارسات المعرفية و الذهنية الخرافية ومع الموقف الوجودي، و مع الممالأة في طبيعية مع النظم المستبدة".[2]

وفي الأخير نقول أن حياة سبينوزا بين الطائفة و الدولة كانت حياة تملأها الأحداث و التعقيد كما استمت كتباته بالعمق التي لحد الآن لا تزال تشير اللبس و التساؤل و بين العزلة و الاجتماع اسم سبينوزا بمواقفه التي لم تكن مجرد تنظيرات على ورق بل جسدها على الواقع و مع أن كتابته لم يكتب لها أن ترى الضوء في حياته و حتى بعد أ مات صدر قرار بمصادرتها و إيقاف طباعتها إلا أنها تستهوي المفكرين حتى أنه في حياته كان أصدقائه و تلاميذه يلحون عليه أن يوضح أكثر أفكاره إلا أنه تعتبر فلسفته ورؤيته للعالم

[1] عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، ص 85.

[2] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 24.

محط الاهتمام و "تأثر به فلاسفة كثيرون، و حسبك أن تعلم ما قاله هجل "لن تكون فيلسوفا إلا إذا درست سبينوزا أولا".[1]

التيارات الفلسفية المؤثرة في فكر سبينوزا

1. الرواقية:

المدرسة الرواقية:

المدرسة الرواقية هي مدرسة التي كان يدرس فيها زينون تلامذته و هي عبارة عن رواق و هي مدرسة ظهرت في الفترة اليونانية كانت لها مكانتها و عراقتها ممتدة في جذور التاريخ من 204 ق م إلى المدرسة الرواقية الحديثة التي أغلقت في 529 م و كانت عبر العصور لها رواد و أقطاب لهم مكانتهم بين الفلاسفة و المفكرين منهم كليانتوكروسبوس، و سنكا و إيكتوس" و "مرتس أبيكتوس" في مدرسة الرواقية الحديثة، كانت لها نظرتها في الحياة و خاصة الجانب التربوي "وهي كيان متكامل كالبيضة قشرتها المنطق و زلالها الطبيعة و محها الأخلاق".[2]

أثرت الرواقية في فكر سبينوزا فيما يلي:

الله والعالم: اعتبر الرواقيون الله ماديا "من حث أنهم تصوروه مبثوثا خلال العالم كله، محركا كل جزء من أجزائه (...) يرون أن الله علة الأشياء (...) كسائر العلل، قد اتصل بها اتصالا وثيقا، هذه المادة هي العالم، فالله إذ يجول خلال العالم و في كل مكان والله روح

[1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة،1932، ص 177.

[2] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 35.

العالم، و بمعنى أنه نفس ناري لا صورة له، و يتخذ صورة الأشياء، و الله كامن في الإنسان كونه في كل نقص خالق العالم، و مبدع الأشياء وصانعها".[1]

"الله عند الرواقيين خالق العالم، موجده وصدره و بذرته و العالم تطور الله وجسمه وعيانه الذي يرى من خلاله"...لأن العقل (الله) لوغوس ليس هو المصدر الذي تجيء منه الأشياء فحسب بل هو أيضا الجوهر الماثل في كل مكان"، يرى الرواقيين أن الله جوهر العالم و هذا ما سنشرحه عند سبينوزا في مبحث اللاهوت.[2]

الضرورة:

اعتبر الرواقيون العالم متكامل يسيطر عليه الله و دير شؤونه و هو يحل في هذا العالم و يجعل منه متكامل جميل "إذن العالم هي القدر و التدبير و بلغة المنطق هي الضرورة التي تسير الأشياء وفق مقتضياتها، و يظهر هذا التدبير في صورة ترتيب و تنظيم محكمين لسائر مظاهر الوجود، فلا اختلاف و لا صدفة و لا نفاق، سير مرسوم وامتداد محدد وحركة محددة للكواكب والنجوم ولكن تلك الضرورة ليست عمياء، بل هي قانون "اللوغوس" فهي إذن عقلية وكل شيء دبرته العناية على أحسن ما يمكن أن يكون".[3]

و من ظاهر أن هذا العرض المقلص لفلسفة الرواقية يظهر لنا مدى تأثر سبينوزا بفكرها من حيث العالم و الله وفكرة الضرورة كما سنوضح هذه الأفكار في الفصل الثاني حيث أن سبينوزا "عبر عن نفس الأفكار و لكن بلغة القرن السابع عشرة"...ولقد بلغ من ذيوع

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 36.

[2] المرجع نفسه ، ص 37.

[3] المرجع نفسه، ص 38.

فكرة هذا التأثير عند معاصريه أي اتهمه الفيلسوف ليبنتز **(Laibenisa)** بأنه يعمل على بعث الرواقية و إشاعتها في الأوساط العقلية".[1]

2. ابن رشد:

تأثر ابن ميمون وابن رشد* باسبينوزا الذي أخذ اليهود مؤلفاتهم بعد أن هربوا من إسبانيا إلى هولندا فتأثر سبينوزا بأفكار ابن رشد و من بين الأمور التي تأثر بها محاولته التوفيق بين الفلسفة و الدين الفلسفة أخت الشريعة من الرضاعة كما يرى ابن رشد حيث أن ابن ميمون حاول التوفيق بين الدين اليهودي و الفلسفة الأرسطية لما فعل ابن رشد بين الإسلام و الفلسفة أثر ابن رشد في سبينوزا في مسألة قدم العالم "من المشكلات التي أثيرت بين الفلاسفة حدوث العالم أو قدمه فكان من رأي ابن رشد أن العالم"...لم يزل موجودا معا لله تعالى و معلولاته، ومساوقة له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة و مساوقة النور للشمس و أن تقدم الباري عليه كتقدم العلة على المعلول و هو تقدم بالذات و الرتبة لا بالزمان..." و يكاد هذا الكلام يتطابق مع ما سنجده في فلسفة سبينوزا حول مكانة الله من الكون و أسبقية عنه، هل هو سبق منطقي أم سبق زماني؟ و طبعا ابن رشد يرد بالقول أن السبق منطقي بمعنى سبق العلة و المعلول.

الفعل الإنساني و ضرورته:

يرى ابن رشد في فكرة الحرية أن يوضع في قضية الإرادة و الحرية في الفعل الإنساني بين إن كان الإنسان مقيد بأوامر من الله، و الذي يتحكم في أفعاله أم أنه مخير بإتباعها "وابن رشد موقفه من قضية الحرية في نص واصح يقول فيه: "...يظهر أن الله

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 41.

*ابن رشد ولد في 520 هـ (1106)، تنقل بين الأندلس و المغرب قربه أمراء الموحدين إليهم بسبب علمه الواسع، خاصة السلطان يوسف بن عبد المؤمن.

تعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم لنا إلا بمواتاة الأسباب التي سحرها الله لنا من الخارج و زوال العوائق (...) يظهر التوافق الصميم بين الموقفين –سبينوزا بالضرورة و ابن رشد في الحرية- تتم بمواتاة الأسباب الخارجية و من هذا نفهم أن رأيه بجعل من الحرية فعلا مشروطا لا يمكن أن يفعل الإنسان من غير تلك الأسباب و من هنا ليست الحرية مطلقة (...) بل هي مرتبطة بالأسباب الخارجية (...) و كل عمل يأتيه الإنسان هو توافق بين إرادته و بين الأسباب الخارجية فحرية الإنسان إذن مقيدة بإرادة الله".[1]

و من هنا يتضح لنا أن فكرة الضرورة، كما سبينوزا التي ترى بضرورة إرجاع كل إلى شيء الله و أنه من الضروري أن يسير هذا العالم كما الحرية عند ابن رشد المقيدة من طرف الله و بهذا نصل إلى أن سبينوزا قد تأثر بفيلسوف مسلم وليس فقط اليهود و اليونان.

3. روني ديكارت (René Descartes1595-1618):

فيلسوف فرنسي ولد في 31 مارس 1595 "ينحدر من أسرة من صغار الأشراف والموظفين المدنيين في مقاطعة –التورين **Trouron**، فبعد أن لاحظ والده ذكاءه الحاد قام بإرساله إلى مدرسة (لافليش) اليسوعية الشهيرة، التي أسسها (هنري الرابع) و لما كان ضعيف البنية أظهر مواهب ملحوظة سمح له بمزايا غير عادية و سمح له بأن يدرس بطريقته الخاصة (...) كما أصبح ديكارت عام 1618 ضابطا بجيش (موريس دي نلسو) الهولندي حليف فرنسا و عاش في مدينة بريدا بهولندا و تعرف هناك على شخص اسمه إسحاق بيكان الذي كان له أثر في حياته"[2] اهتم ديكارت برياضيات لحد كبير "تقوم فلسفة

[1] حاج دواق، نفس المرجع، بتصرف، ص 45-46.

[2] خوني ضيف الله، حميدي لخظر، دراسات وأبحاث في الفلسفة، العربية الحديثة والمعاصرة، تقديم زروخي الدراجي، دار صبحي للطباعة والنشر، 2014، ص 16.

ديكارت على عقلانية فلسفية شاملة تفسير ظواهر الوجود و تقسمه إلى طبيعتين مادية وروحية مادية و ما تشير إليه من تعدد و تنوع يحكمه الامتداد الشامل، بالرغم من اختلاف كثافته من شيء إلى آخر، وروحية بعناصر مفاهيم عقلية أولية واستعدادات فطرية ينتظمها جوهر الفكر، و كان مما أثار انتباه سبينوزا الثنائية التي أتت بها فلسفة ديكارت وهنا كان هدفه هو توحيد عنصري...هذه الثنائية في وحدة واحدة (...) وقد استعان سبينوزا– في تأثره القوي بديكارت، بالمنهج الديكارتي"[1]

"ولعله الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجية خاصة في مجال الدين و أعني الكتب المقدسة و الكنيسة و العقائد و التاريخ المقدس..."[2]

كان مسار سبينوزا ديكارتي من البداية مع أنه اختلف معه في ثنائية الروح والجسد اليت وحدها سبينوزا كان مساره الفلسفي ديكارتيا متأثرا بمنهجه، ويعتبر مؤسس العقلانية والفلسفة الحديثة لأنه أول من استطاع الجمع بين الرياضات والفيزياء وعلم الفلك مع فلسفته تعرف سبينوزا على فلسفة ديكارت من استاذ بجامعة ليدن وجزء المهم هو مبادئ فلسفة ديكارت.

و نستخلص تأثيرات سبينوزا بديكارت في نقطتين هما:

- سعيه لإزالة الثنائيات المتقابلة (الله- العالم)، (الفكر - الامتداد)، (النفس- الجسم)، (الخير - الشر)...، " لكن نزعة سبينوزا التوحدية جعلته لا يعترف إلا بجوهر واحد فقط (...).

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 51-52.

[2] المرجع نفسه، ص 52.

- توظيفه للمنهج الديكارتي في مراجعته للتاريخ المقدس و مصادره زيادة إلى العقلانية الشاملة التي سحبها على كل آرائه".[1]

وفي الأخير نستخلص "تعاطي سبينوزا مع الديكارتية كإطار مرجعي ثم كأداة ومنطلق لتجاوز ديكارت نفسه و تأسيس فكر سبينوزي منتقل تماما و هو الآمر الذي دعا الدارسين و المختصين في فكر سبينوزا إلى اعتبار الديكارتية مجرد استراتيجية معرفية من استراتيجيات الفيلسوف الهولندي لإشهار بعض آرائه الشخصية من جهة ولفك الارتباط مع الأفكار الفلسفية التقليدية.[2]

ومن هنا يتبين لنا أن فكر سبينوزا لم يكن مرهونا بتأثره بالفلسفة اليهودية و الفكر الغربي اليوناني فقد بل كانت تنحدر من عصور مختلفة ومن ديانات مختلفة الإسلام واليهود والمسيح، وذات بنية عقلانية كتأثر ديكارت، وكما يقول أستاذي زروخي الدراجي "كل فكرة فلسفية أو نظرية في المعرفة ستكون صحيحة في نظر أصحابها لأنها قضت على فكرة الأمس... وهكذا يستمر الفكر الفلسفي".

[1] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص 53.

[2] عبد القادر جموسي، حياة سبينوزا، مرجع سابق، ص 45.

الفصل الثاني

ملامح عقلانية في فلسفة سبينوزا

- ✓ المبحث الأول: اللاهوت.
- ✓ المبحث الثاني: الأخلاق.
- ✓ المبحث الثالث: السياسة.

تمهيد:

انبلجت الفلسفة الحديثة على وقع الحركة العقلية التي أثارتها فلسفة ديكارت وثورتها على الفكر الكلاسيكي كبديل ينشد الوحدوية انطلاقا من الجوهر العاقل، فما لبث سبينوزا إلا ونهل من المذهب العقلاني والعقلانية؛ الميزات والخواص ومناهج التفكير ورؤى نحو ما يبرر للمفاهيم المتداولة في عصره، فما هي أهم القضايا التي عارضها اسبينوزا؟ وكيف تمكن من تجاوزها؟

المبحث الأول: اللاهوت.

يرى سبينوزا أن الموضوع الأهم و المبحث الذي يجب أن يبتدأ به كتابه هو البحث في الماهية الإلهية، لأنه فلي منظوره هو مرتبط بجميع المباحث الأخرى و على أساسها يتم إيجاد الحلول لكل المشكلات مطروحة فهو يرى أن كل فكر مرتبط بفكرة أساسية وهي الله وبهذا يمكن القول أن فكرة الله لدى سبينوزا واسعة بحيث تندثر كل المشكلات والمباحث الفلسفية الأخرى.

"يبحث أول باب من الأبواب الخمسة في كتاب سبينوزا الرئيسي الأخلاق موضوع الله وهو يؤكد في الباب الثاني الذي يتحدث فيه عن طبيعة الذهن البشري أنه يعالج هذا الموضوع الأخير من حيث علاقته بنظريته العامة إلى الماهية الإلهية... فمن الممكن القول إن فكرة الله عند سبينوزا ليست مجرد واحدة من الأفكار التي تعالجها الفلسفة، فكل فلسفة سبينوزا يمكن أن تعد –بمعنى معين– تفكيرا في الله ففكرة الله عنده شاملة لكل شيء، و لما كان فهم الأشياء هو، في رأي سبينوزا فهم الله أيضا".[1]

كما أن معالم فكرة الله لا تتضح على حقيقتها إلا بعد فهم جميع أوجه الآخر، لمعرفة الأشياء فهما فلسفيا و يعبر هيلر عن هذا الرأي تعبيرا واضحا إذ يقول: "إن البحث في الله مستغرق فلسفة سبينوزا من ألفها إلى يائها".[2] أي أنه من الصعب فهم أفكاره دون تمعن فيها بجميع كتبه مع الكثير من اللبس.

[1] فؤاد زكرياء: اسبينوزا، مرجع سابق، ص 102.

[2] نفس المرجع، ص 103.

"كذلك تقول سو **Sow** (*) برأي مماثل، إذا تؤكد أن فلسفة سبينوزا بأسرها إنما هي تبرير للاهوت من حيث هو علم و ترى في هذه الفلسفة بالتالي ردا على من ينكرون إمكان قيام الميتافيزيقا ما تتضمن من أبحاث متعلق باللاهوت، وهكذا تصبح كل فلسفة سبينوزا في نظرها مظهرا من مظاهر إمكان علم الإلهيات.[2]

وهنا من خلال تفسير...ولفلسفة سبينوزا واعتبارها قائمة على علم اللاهوت يتضح لنا أن سبينوزا صوفي بحيث لا يلجأ إلى تفسيرات ميتافيزيقية بل هو يفسر لكل عناصر الفلسفة و يطرح لها مشكلات و حلول بالعودة إلى الله ولكن بطريقة علمية وهذا ما وضحه من خلال تعريفه لله في كتابه الأخلاق وذلك بتباعه للمنهج الهندسي.

الله وصفاته:

يقيم سبينوزا في الكتاب الأول من الأخلاق بنية هذا العالم و يبدأ تعريفاته مفهوم الله، جوهر تعريف سبينوزا الله خصوصية إذ يستعمل كلمة جوهر كمرادف لله و يعني به...ما هو في ذواته و يتصور بذاته بمعنى التصور الذي لا يفتقر إلى شيء آخر حتى يتشكل.[3]

يعرف الله على أنه وجود لا متناهي و الجوهر لا متناهي الصفات و لا يتوقف تكونيه على شيء آخر، بمعنى أن الله واجب الوجود ضروري و هو لا يحتاج إلى أي كائن آخر أو جوهر آخر لكي تعرف وجوده به لأنه هو علة كل شيء و معلول بذاته وسندي كيف عرف سبينوزا الله في كتابة علم الأخلاق من جزءه الأول حيث أعطى عدة

* – ruth.lydia saw: 1901-23march 1986 was a british philosopher and aestheticist.

[1] فؤاد زكرياء: اسبينوزا، مرجع سابق، ص 103.

[2] فؤاد زكرياء: اسبينوزا، مرجع سابق، ص 103.

[3] الحاج دواق: الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، مرجع سابق، ص59.

تعريفات "**الله أعنى بعلة ذاته ما تنطوي ماهيته على وجوده، و بعبارة أخرى، ما لا يمكن لطبيعة أن تتصور بوجوده**"[1]، في هذا التعريف يرى سبينوزا بأن وجود الله مطلق وماهيته هي على وجوده وأيضا هي التي تدل على وجوده فهو لا يحتاج إلى جواهر ولا علل ولا ماهيات آخر لتدل على وجوده لذلك "يرى أن الجوهر و الله و علة وجوده متماثلة لأنه لتعليل الجوهر يجب الرجوع إلى علة وجود علته أي ما يجعله ما هو عليه، و تبعا لذلكم يعرف علة ذاته بأنه ما يستلزم جوهره وجودا فكما أن التعليل وجود أي شيء يستلزم الرجوع إلى علته، فإن تعليل وجود شيء هو علة ذاته يستلزم الرجوع إلى ذاته فقط".[2]

أي أن الجوهر هو علة وجود الله و بما أن سبينوزا يرى بوجود جوهر واحد وهو الله فإن علة وجوده في ذاته و يجد الرجوع إلى ذاته من أجل تعليل وجوده و ذاته هي الجوهر و هو الجوهر الواحد، "يمكن أن نطلق عليه لفظ الجوهر إلا الإله، و حينما نتأمل تعريف الجوهر كما هو محدد بأنه بذاته ومتصور بذاته و بمعنى آخر أنه التصور الذي لا يحتاج إلى تصور شيء آخر من مكوناته، و نستطيع أن نلمس تلك الأبعاد العملية المستمدة من علم لغة السيميانطيقا في لغة سبينوزا لا حينما نصل إلى الفرضية الخامسة "لا يوجد في الكون جوهرين أو أكثر لهما الطبيعة نفسها".[3] وحينها نحصل على تصور فكرة الإله من خلال الفرضية الرابعة عشر (ما عدا الإله لا يوجد جوهر يمكن التسليم به و إدراكه"[4]

---

[1] باروخ اسبينوزا: علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ص 29.

[2] ستيوارت هامبر: عصر العقل القرن السابع عشر، تر: ناظم طحان، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، 1986، ص 118.

[3] زيد عبد الكريم: اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 149.

[4] المرجع نفسه، ص 49.

"**بديهيات I. "كل ما يوجد في ذاته أو في شيء آخر، II إن ما يتعذر تصوره بشيء آخر لا بد من تصوره بذاته، III. إذا وجدت علة معينة نتج عنها بالضرورة معلول ما و على العكس إذا لم توجد أية علة معينة فمن المحال أن ينتج عنها أي معلول،V. تتوقف معرفة المعلول على معرفة العلة و تنطوي عليها**[1]" ومن هنا يتسنى لنا شرح "البديهيات من ١– ٤ وإذا كان تعليل الجوهر لا يستلزم الرجوع إلى أي شيء آخر، و تعليل أي شيء آخر يستلزم مثل هذا الرجوع إلا في حالة علة ذاته فمن الواضح أن الجوهر يجب أن يكون علة ذاته، ويظهر وتماثل الجوهر مع الله عن طريق القضية الثامنة القائلة (كل جوهر غير متناه أي له خواص لا متناهية) "والقضيتان 9 و10 والملاحظة الملحقة بهما والقضية السابقة التي تؤكد وحدة هوية الجوهر، وما هو علة ذاته وتستخلص النتيجة القائلة: إن الجوهر موجود بالضرورة وهكذا فإن الجوهر موجود بالضرورة وذو صفات لا متناهية، أي أنه الله ولا يمكن وجود إلا جوهر واحد مثل هذا الشرك المطول على أن جوهر الله ليس له مثيل و لا قرين فالله وحده من يتميز بهذا الجوهر الدال على ماهيته فلذلك يرى سبينوزا أنه جوهر واحد مثل هذا الجوهر "القضية الرابعة عشر"[2] كما يظهر لنا من خلال هذا الشرح المطول على أن جوهر الله ليس له مثيل و لا قرين فالله وحده من يتميز بهذا الجوهر الدال على ماهيته فلذلك يرى سبينوزا أنه جوهر واحد متماثل مع الله، فمن البديهي أن لكل علة معلول و على العكس إن لم تكن علة فلا يوجد معلول و لمعرفة المعلول علينا العودة إلى العلة و في تعريف الجوهر لا يحتاج في تعريفه إلى شيء آخر و بذلك يجب أن يكون هو علة ذاته فكما ذكر في شرح مسبق أن القضية 9 القائلة: "**كلما كان لبعض الأشياء واقعية أكثر أو كيان أكثر، كان**

[1] باروخ سبينوزا: علم الأخلاق، ص 31.

[2] ستيوارت هامبر: عصر العقل القرن السابع عشر، ص 11.

مالكا لصفات أكثر"[1] والقضية 14 "**لا يمكن أن يوجد جوهر خارج الله ولا أن يتصور**"[2] ويمكن أن نبسط المعنى إلى حد ما بالقول أن الوجود ظاهر وباطن فأما الظاهر فهو جماع الظواهر الطبيعة المختلفة المتنوعة، أما الباطن فهو الجوهر القائم ورائها والذي يمنحها الترابط، و يبقى على استمراريتها و لكن توضيحها لا يشير بأية حال إلى أن سبينوزا يؤمن بثنائية بل بالعكس قوله بالجوهر غرضه الأساسي إظهار الوجود بمظهر الواحدية التي تمحى فيها كل متقابلات"[3]، لا يوجد متماثلان فلو كان هناك جوهران اثنان متساويان لغلب أحدهما آخر "... بقوله... أنه لا يوجد جوهران متعادلان أو متساويان...لأنه لو وجد جوهران من الضروري أن يحد أحدهما الآخر"[4] حقيقة مفهوم سبينوزا للجوهر بأنه لا يوجد جوهر ما عدا الله الطبيعة و لقد جاء سبينوزا ببراهين عدة على وجود الله و هي البرهان الأول إذا كانت ماهية الله تتضمن وجوده فإن الله ينبغي أن يكون موجودا بالضرورة لأن الله هو الوجود" في هذا البرهان يرى بأن الله هو الوجود في ذاته.

"البرهان الثاني يستند سبينوزا في هذا البرهان على مبدأ عقلانية الطبيعة أو العلية في الطبيعة أو العلية في الطبيعة القائمة على العقل بضرورة وأن كل شيء موجود وراءه بسبب عدم وجوده أيضا له سبب ولا بد من أن يكون هذا السبب خارج الله لأن الله لا متناهي و يشمل كل الموجودات...وعليه فليس هناك من يستطيع أن يمنع وجود الله لا في داخل الله و لا خارجه فالله موجود بالضرورة"[5]، هنا يظهر أن البرهان الثاني لوجود الله هو لا متناهي وهو موجود بالضرورة، والبرهان الثالث يستند هذا البرهان على المبدأ

[1] باروخ سبينوزا: علم الأخلاق، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص 89.

[3] الحاج دواق: الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 60.

[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 202.

[5] المرجع نفسه، ص 203.

القائل بأن الشيء –أي شيء– يزداد قدرة على الوجود بقدر ما يزداد قوة لأن القدرة على الوجود قوة و عدم القدرة على الوجود عجز، وعليه فإذا وجد المتناهي أن يكون موجودا بالضرورة، لأن اللامتناهي فإن اللامتناهي ينبغي أن يكون موجودا بالضرورة...فإذا فالله من حيث هو كائن لا متناهي واجب الوجود[1] وهنا يوضح بأنه غدا كان المتناهي موجود بالضرورة فإن الله من الواجب وجوده بالضرورة، والبرهان الرابع هو نفسه البرهان الثالث الذي وضع بصورة قبلية **apriori**، وفحول أنه إذا كانت القدرة على الوجود قوة فإنه يلزم أنه بقدرة تزداد الأشياء الواقعية فإنها بذلك القدرة تزداد قوتها الذاتية على الوجود، و يلزم كذلك أن الكائن اللامتناهي المطلق –أي الله– له قوة ذاتية لا متناهية مطلقة على الوجود و بناء عليه فالله موجود بالضرورة"[2] لله قوة في ذاته هي علة وجوده ولهذا ضرورة وجوده هي ذاته، "فكرة الله تعريفا ضمن تعريفات الأولى في كتابه ذلك الأمر الذي لا نجده لدى غيره من الفلاسفة ذلك لأن اللفظ في نظر سواه مفهوم بذاته فلا يحتاج إلى تعريف أما إدراج لفظ آخر من الألفاظ التي يراد التنبه إلى معانيها الجديدة فهذا أمر لا تلمسه إلا لدى سبينوزا...ففي محاولة التعريف الاستدلالي هذه خروج تام على المألوف في عالم فلسفة اللاهوت حتى ذلك العصر".[3]

لقد حاول سبينوزا من خلال تعريفات و بديهيات الفصل الأول من الأخلاق الاستدلال على كل ما يحتاجه الشخص حول الجوهر، و كما عرفنا أنه قد صاغ حجته بالطريقة الاستدلالية و كانت تعريفاته و بديهياته تخدم ربط مفاهيم الجوهر –الإله– الطبيعة باعتبارها معلول بذاتها و قد صاغ تعريفاته بدقة ليجعل من الممكن له أن يثبت أن

[1] المرجع نفسه، ص 203.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 202–203.

[3] زيد عبد الكريم: اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 147.

الإله موجود بشكل لامتناه أزلي و ليوضح أن الإله و الكون هما شيء واحد تلك هي سمات الجوهر"[1].

الصفات:

الصفة بحسب تعريف سبينوزا لها هي: "ما يدركه العقل في الجوهر على أنه ماهيته، فالصفة هي ماهية الجوهر أو ما يكون بها الجوهر وبدونها لا يكون ولا يمكن تصوره، إذن ما ينتمي إلى ماهية الشيء هو ذلك الذي إذا وجد الشيء أيضا بالضرورة وإذا غاب الشيء أيضا بالضرورة أو بعبارة أخرى هو الذي لا يوجد الشيء ولا يتصور بدونه ولا يوجد هو ذاته و لا يتصور بدون الشيء فالصفة هي الجوهر كما يتبدى للعقل"[2]، إذا كان الله هو الجوهر الواحد فالصفة هي التي تعبر عن الجوهر ووجودها يعني بضرورة وجود الجوهر ولله صفات اللامتناهية فالله خفي لا يظهر للعيان فتأتي الصفة أو صفات الله اللامتناهية تظهر الناس فيبين بذلك وجود الله الضروري ويدركه العقل "فالصفة بهذا المعنى هي الجوهر ذاته، كما يتكشف للمعرفة، أو كما يفكر العقل في الطبيعة، وهذا الجوهر يتكشف لنا، في رأي سبينوزا، على وجهين: الوجه المادي و وجه الذهني، أي أننا نعرف من الجوهر ضفتين: الامتداد والفكر و لكن ذلك لا يمنع في رأيه، وجود عدد لا متناه من صفات الأخرى للجوهر لاتصال إليها بمعرفة"[3]، ومن هنا يتسنى لنا القول بأن الامتداد والفكر هما الصفتان اللامتناهيتان لله والكون.

الفكر يمثل الجوهر من الداخل من جهة ما هو وعي مباطن للكون الممتد أي الكون والماهية والحقيقة الواحدة المباطنة للوجود أجمع، و الامتداد هو الغلاف الظاهرة الذي

[1] المرجع نفسه، ص 148.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 204.

[3] فؤاد زكريا، اسبينوزا، ص 63.

يحوي تنوع الموجودات و اختلاف كثافتها من مكان في الكون إلى آخر، فالجوهر مظهران: خفي مباطن هو الفكر و بارز ظاهر هو الامتداد و كلاهما صفتان لحقيقة واحدة ألا و هي الجوهر.[1]

الامتداد و الفكر هما صفتا الجوهر و لكن الامتداد صفات كثيرة و كذلك للفكر صفات ملا نهاية لأن الله شامل للوجود كله و"يبني هذا التعريف لصفات الجوهر على القول بأن صفتي الجوهر كما يدركها العقل ليستا مجالين منفصلين ينقسم إليهما الجوهر، فالجوهر من حيث هو يشمل الوجود بأسره، لا يتضمن مجالين منفصلين يقف كل منهما إلى أطوار الآخر وكأن الامتداد جزء من الجوهر و الفكر جزء آخر منه، و إنماق"[2].

تنتظم كل من هاتين الصفتين الجوهر بأسره، كل تبعا لنوعها الخاص، و هذا هو تفسير عبارة لامتناه من حيث نوعه التي يستخدمها سبينوزا لبيان طبيعة الصفة، فصفة الامتداد لا نهائية و تشمل كل خصائص الامتداد.[3]

يتصف الجوهر بصفتين معا الفكر و الامتداد و ليستا منفصلتين فصفة الامتداد هي شاملة للكون أجمع و كذا الفكر الذي هو كون، وذلك بنظر إلى الامتداد من خلال الفكر ولذلك يتحجب على العقل البشري إدراك الجوهر إلا عن طريق صفتين معا "فالله إذن كائن ممتد ومفكر في وقت واحد و إذا أردنا الدقة في التعبير قلنا أن الله ليس ممتدا كسائر الأشياء الفردية بل هو ممتد ذاته أي نظام الكلي للمكان و ليس لله فكرة معينة كبقية الأفكار الفردية بل هو الفكر كله أو النظام الكلي للأفكار"[4]

[1] حاج دواق: الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 63.

[2] فؤاد زكريا، اسبينوزا، ص 63.

[3] المرجع نفسه، ص 63.

[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 204

لأن الجوهر يمتلك هذه الصفات بوصفه جوهرا و يكتشف عقلنا ذلك لأنه صادق ومستقل عن اكتشافنا له، و لأن الله لا متناه فلا بد أن يكون له عدد لا من الصفات اللامتناهية في نوعها، سوى الفكر و الامتداد، و كل صفة من هاتين الصفتين "لا متناهية في نوعها، لكنها لا متناهية بصورة مطلقة مثل الله"[1] بمعنى أن الامتداد صفة الجوهر والفكر صفة للجوهر و كل منهما لا يمكن أن يحد الآخر و نستخلص أن هما يشركان في جوهر واحد ألا و هو الله وكل من صفة الجوهر يؤكدان على وجود الله وصفة هي ماهية الجوهر (الفكر أو الامتداد) وصفة هي دلالة على وجود الله لذلك لا تحمل أي تصور آخر و المادة التي تمثل الامتداد و العقل الذي يمثل الفكر لا يمكن لهما أن تتفوقا على بعضها أو تحدان بعضهما و لكنهما صفتان الأساسيتان للجوهر مشترك هما لا متناهيتان ذاتا صفات لا متناهية لأن الله أزلي لا يحده زمان و لمكان كما هو يتمتع بقدرة عقلية لا محدودة لأنه هو من يصنع العالم و يحصي كل ما فيه "وليس الله من حيث إنه جوهر لا متناه له صفات لا متناهية– ...فهو نسق رياضي آلي عظيم من الناحية الطبيعية... و هو أزلي مثل الهندسة... إن الله ليس خالقا للعالم في لحظة معينة، إلا بمقدار ما يمكن القول أن بديهيات الهندسة ومسلماتها يمكن أن تخلق النظريات في زمن معين لأن مبادئ الامتداد محايثة في الله من حيث إنه أساسيا الأزلي والذي لا يجدده زمان فالله علة محايثة للعالم بمعنى أن الأساس المنطقي أو الجوهري"[2] قد يقع الكثيرين في فهم الخطأ لكلمة الممتد الذي ينظر إليه على أساس المادة و بهذا سوف يعتقد البعض أن للجوهر أو الله صفات متناهية و كيف يكون له صفات متناهية وهو لا متناهي الأزلي، وهكذا سيربط الذهن أن للجوهر صفة الامتداد (المادة) وبذلك أن هذا الجزء متناه و كيف لهذا الربط

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 114.

[2] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 120.

غير المنطقي وهذه الصفة المتناهية أن يتصف بها اللامتناهي "لكن الجوهر الممتد بقدر ما هو موجود كامل متفوق لا يمكن أن يكون قابلا للتأثر، لكن الجوهر الممتد بقدر ما هو قابل للتجزؤ هو قابل للتأثر، و يتبع ذلك أن الجوهر الممتد لا يختص بماهية الإله، و كل هذه الآراء تحاول أن تثبت أن الجوهر الممتد لا يتناسب مع الطبيعة الإلهية على أن القارئ اليقظ يسرى إنني بنيت أن جميع نقاشاتهم قد بينت على افتراض أن الجوهر الممتد يتكون من أجزاء...لذلك الاستنتاج الملائم الوحيد الذي يمكن بلوغه هو أن الكمية اللامتناهية غير قابلة للقياس، ولا يمكن أن تتركب من أجزاء متناهية"[1]، إن الجوهر الممتد بتصور المادي القابل للانقسام و بذلك تلك التجزئة والشيء القابل للقياس هو متناه و هذا إذا أدركنا (الممتد المادة) بطريقة سطحية، لكن إذا أدركنا صفة الامتداد عن طريق العقل وتصورنا الجوهر الممتد باعتباره جوهر الواحد (إله) و هي كما يرى سبينوزا لا يبينها سوى القارئ اليقظ سيرها صفة لا متناهية و غير قابلة للتقسيم "وهكذا فإن الامتداد الذي ينسبه سبينوزا إلى الإله هو مغاير للامتداد المنسوب إلى الأشياء الجزئية فهو صفة مطلقة يتصف بها النظام الكلي للأشياء اقتضتها ضرورة الموقف العقلي الأصيل النابع من نظرة علمية و ليست صوفية للوجود الواحد[2] لأي ليس الامتداد معنى كلي مكتسبا بالتجريد من الأجسام و لكن الأجسام أجزاء من الامتداد الحقيقي المعقول"[3].

أو هي حدود فيه، كما أن كل متناه فهو عدول اللامتناهي، فليس التمايز بين الأجسام تمايز حقيقيا إذا أنها جميعا امتداد و لكنه تمايز و الحركة حال الامتداد وهي ثابتة

[1] زيد عباس كريم: اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 167.

[2] المرجع نفسه، ص 168.

[3] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 119.

الكمية الطبيعية...أما الجسم الجزئي الذي لا يدوم فترة من الزمان، فليس فيه شيء يربطه بماهية الصفة السرمدية، وإنما علة الوجود أجسام أخرى متناهية مثله"[1].

الأحوال:

يعرف سبينوزا الحال "تأثيرات الجوهر، أو ذلك الشيء الذي نتعرف على وجوده وندركه من خلال شيء آخر".

"فللجوهر أحوال هي مكونات الكون أو محتوياته الجزئية أو الأشياء الفردية التي نشاهدها في الحياة الاعتيادية، و أهم ما تتصف به الأحوال هو اعتمادها على غيرها لكي توجد و تتصور فهي تقوم بغيرها و تفهم بغيرها"[2]، يرى سبينوزا أن الحال هو ذلك الشيء الجزئي في العالم يتحكم فيه الله و لا يمكن أن يعرف إلا من خلال ذات أخرى فهو لا يكفيه ذاته من أجل تعرفه مثل الحيوانات النبات أي شيء متناهية تحتاج إلى اللامتناهي لكي يكون بسبب وجودها "ليست الأشياء الفردية إلا انفعالات أو أحوال من صفات الإله تعبر عن تلك الصفات بطريقة خاصة و محدودة فكل شيء فردي، في نظر سبينوزا مرتبط بالأشياء الفردية ارتباطا وثيقا ولا يمكن تصوره بدونها فالعين مثلا المرتبطة بالكائن البشري لا يمكن أن تفهم بدونه و الكائن البشري[3]، مرتبط بالجو و الشمس والحركات الكواكب الأخرى و بالتالي الكون كله، وليس هناك إلا كائن واحد متكيف بذاته هو الإله.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 119.

[2] زيد عباس الكريم: اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 173.

[3] المرجع نفسه، ص 173.

[4] وليم كلي رايت ،تاريخ الفلسفة الحديثة، ص121 .

و لدى سبينوزا كما نقصة حاجة اعتماد الأحوال فيما بينها و على بعضها كانت كاملة وواقعية و العكس صحيح و الحال المتناه يتأثر فقط بالمتناه مثله حاول سبينوزا أن يستمد الكثرة من الواحد و التغير من الأزلي عن طريق مذهب الأحوال[1] و إن السؤال هنا سيكون بالتأكيد حول إمكان تولد المتناهي من اللامتناهي و حيث أن المسألة فيضية أفلوطينية بل إذا أردنا إن نصل أن إلى الفهم التام لوجهة نظره في هذه المسألة بالذات، علينا أن نلاحظ أن المشكلة لم تكن عنده مشكلة خلق الكثير من الواحد، و إنما كانت مشكلة تحقيق نسق استنباطي من أجل الوصول إلى مذهب مغلق كامل، فتراه بوجه تأويلاته وفقا لرؤيته العلمية لتكون مشكلة الأشياء الفردية عنده مشكلة علاقات سببية متعلقة بالنظام الشامل للأسباب لذلك فهو يرى مفهوم الإله –كما هو في تأويلاته– علة قريبية لبعض الأشياء، و هو أيضا علة بعيدة للبعض الآخر.[2]

في هذا التساؤل نرى أن سبينوزا لا يرى النظرية الفيضية بل بنظرية علية أي أن الله بوصفه علة للكل سواء من قريب أو من بعيد على عكسه هو علة ذاته من بديهيات العقل أن لكل معلول علة و سبب و علة وجود الأحوال هو الله.

"هناك أحوال لا متناهية و أحوال متناهية و يعرف سبينوزا الحال بأنه تغير في الجوهر، يوجد و يتصور عن طريق شيء غير ذاته ولا شك أن كلمة أحوال هي الطبيعة المطبوعة و الله –من حيث أنه جوهر في صفة الامتداد– يمتلك الحال المباشر اللامتناهي للحركة و السكون، و هذا يعني أن كل شيء في العالم من حيث إنه شيء مادي، يكون إما متحركا أو ساكنا و التجمع الكلي للحركة لا يزيد و لا ينقص على الإطلاق في حين أن

[1] المرجع السابق، ص 174.

[2] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 174.

الحركات الجزئية تختلف في الأزمنة و الأمكنة، و تظهر المادة من حيث أنها تنقسم أو تتفرد إلى موضوعات مختلفة الحال المباشر و اللامتناهي "الوجه الكون"[1].

تعتمد الأحوال المتناهية على ذات آخر تسيرها أو علة أخرى فتقرر حركتها وسكونها أجسام أخرى حتى ما لا نهاية و تتبع هذا التسلسل نصل إلى الحال اللامتناهي لهذا الامتداد وفقا للكرة الفيزيائية للعالم بطريقة متناسقة فحل إلى حال الفكر اللامتناهي الذي يتميز به الجوهر وهو صورة للقوانين الفكر أو العقل الثابتة اللامتناهية "قوة اللامتناهية للفكر" وعن طريق هذه الأحوال المتناهية نصل في الامتداد إلى اللامتناهية الثابتة والتي مرتبط ارتبطا فيزيائيا ليتصور لنا الجوهر الأول عن طريق الفكر الامتداد في عالمنا ونقر بأن الله هو من يتحكم في هذه الأحوال المتغيرة، الحال الأزلي اللامتناهية الذي يتجلى"[2] من خلال صفة الفكر فهو حال الفكر اللامتناهي أو العقل اللامتناهي إطلاقا وهو السبب الأخير لسلسلة الأفكار الجزئية في الكون والأحوال سواء نظرنا إليها من زاوية الامتداد أو الفكر يمكن ترتيبها بحسب ارتكازها المنطقي بحيث أن كل حال متناهي يعتمد على آخر أعلى مرتبة منه و هكذا حتى نصل إلى الامتداد باعتباره حالا أزليا لا متناهيا ينبع من طريقة الإله المباشر".[3]

الأحوال النهائية هي ذواتنا والنباتات و الحيوانات والعصى والحجارة أعني كل شيء جزئي في هذا العالم أو كل شيء يلازم الجوهر الكلي و صفة الفكر و الامتداد أي

[1] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 122.

[2] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 180.

[3] المرجع نفسه، ص 180.

أن كل شيء يكون عقليا وفزيائيا في وقت واحد فنهني هو فكر جسمي و جسمي هو النظر الفزيائي لذهني، فهنا من حيث أساس واحد نفس الشيء.[1]

إن الأشياء أو الأجسام المتناهية لا جوهر لها و بذلك هي تتغير وتتفاعل مع بعضها و ذلك لأن هناك أشياء أخرى تتحكم فيها و هذا التفاعل هو ما يحدد ماهيتها وكذا محاولة محافظتها على بقائها "الحال المتناهي فهو إذا أخذناه في ماهيته، ممكن فحسب، ولا يشرع بالوجود إلا إذا وجد محال متناهي آخر و يتوقف عن الوجود حالما يقصيه حال متناه آخر و على ذلك فإن وجد الحال المتناهي ليس وجدا في الأزلية و إنما هو وجود في الزمن أو الديمومة... ولما كان الإله علة لكل شيء فهو بهذا المعنى "علة بعيدة للعالم المتناهي".[2]

الله و الطبيعة:

"سبينوزا يمثل الجوهر بالطبيعة و الله و هو يتصور الطبيعة أو الكون ذات مظهرين، فهي فعالة حيوية خالقة من جهة و هي منفعلة مخلوقة من جهة أخرى"[3] يأخذ سبينوزا معنى الطبيعة بصورة خاصة بعيدة كل البعد عن المنظور العامي أو النظرة التي يتصورها المسيحيون في عصره و من هنا يتسنى لنا طرح السؤال إذا كان سبينوزا يرى الطبيعة هي الله فكيف يتصور ذلك؟

"قد يساعدنا المقطع الآتي على توضيح فكرة سبينوزا "إني أتصور الله والطبيعة في صورة مختلفة تماما عن الصورة التي يتصورها المسيحيون المتأخرون عادة لأنني اعتقد

[1] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 122.

[2] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 183.

[3] كامل محمد محمد عويضة: سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 102.

أن الله هو الأصل وليس الطارئ وأن الله هو السبب لجميع الأشياء أقول إن كل شيء كامن في الله و كل شيء يحيا ويتحرك في الله وإنني متفق في هذا مع الرسول بولس(...) على كل حال لقد أخطأ فهمي أولئك الذين يقولون إن غرضي هو أن أبين أن الله والطبيعة شيء واحد"[1] وهنا يوضح سبينوزا معنى الطبيعة التي لا يقصد بها الطبيعة المتغيرة والأحوال النهائية بل هو يقصد الطبيعة الإلهية التي يتحكم بها سائر الموجودات والطبيعة المخلوقة هي من إنتاج الله فسبينوزا لم يكن يوما يريد إثبات الوجود أو وحدة الوجود على الطريقة الصوفية القديمة بل كان دائما ذا لغة علمية و طابع علمي ولا يمكن إضفاء صيغة التصوف و الصوفية الميتافيزيقية بل كانت فلسفته اللاهوتية صوفية علمية، وهذا ما يوضحه من خلال الإجابة على كل من أخطأ فهمه وتفسيره لمفهوم الطبيعة وأخذها على أنها المادة المجسدة فأهمية الطبيعة و موقعها في نسق سبينوزا محوري وتعد حجر الزاوية الأساسية وبالتالي "... قصر منهجه على توجيه العقل نحو الفكرة الأغنى والأكثر واقعية، أي الطبيعة كاشفا عن مصدرها" وامتداداها و نظامها"[2]

وبهذا فهو مدى أهمية الطبيعة في فلسفة سبينوزا فهو يعتقد بأن الطبيعة والله واحدة والطبيعة هي ذلك الفعل الضروري أو نظام الذي يحرك الأشياء و معنى الطبيعة في فكر سبينوزا "أنها المجموع الشامل لأجزاء كثيرة والجامع للموجودات كلها في إطار كلي عام، وكأنها وعاء وجودي تقيس إليه وحدة الأشياء، و المبدأ الذي تسلسل في نظامه الأشياء والقوانين التي تقف وراء الظواهر، فتقيد حركتها وسيرها في دورات ثابتة ضرورة لا تخلف فيها ولا انقطاع"[3] وهنا يقصد سبينوزا بأن الطبيعة هي الصفات اللانهائية التي

[1] المرجع نفسه، ص 102.

[2] حاج دواق: الضرورة والحرية قراءة في فلسفة اسبينوزا، ص 81.

[3] المرجع نفسه، ص 82.

تتصف بالكمال لا أعراض العالم المحسوس، و مما سبق تيقن أن الطبيعة وحدة وكل كيان عام، ينظم إليه و به كل الأشياء الجزئية...أن الاختلاف الأشياء في الطبيعة وتباين أحوالها، لا يفيد تماما أن حقيقة الطبيعة هي كذلك، بل إنها شتات يجمعه جوهر لا نهائي هو الله أي سلسلة العلل المترابطة التي تنتظم الأشياء في تناسق و انسجام أبديين.[1]

ما يعتبر شيئا حرا، و لكن نفهم بالطبيعة المطبوعة كل ما يصدر عن أو يتلو من طبيعة الله أو أية صفة من صفاته بالضرورة أي أحوال صفات الله بقدر ما تعتبر أشياء في الله و لا يمكن أن تكون أو تتصور بدونه[2] إن الطبيعة الطابعة هي أي موجود يمكن تصوره بذاته و يكون سبب وجوده ذاته أي الجواهر الواحد و يمكن تمييزه بصفاته الكاملة أي "تعني جوهرا خال تماما من كل تحديد (...) ويعني سبينوزا بالطبيعة الطابعة باعتبارها قائمة بذاتها و تدرك من خلال ذاتها أو إنها صفات الجوهر التي تعبر عن ماهية الأزلية اللامتناهية.

أما الطبيعة المطبوعة فهي ما ينتج عن الله أو يكون علة[3] وجوده هو الله و بهذا تكون الطبيعة هي عالمنا المحسوس أي الأحوال النهائية أو أعراض هذا العالم المادي النهائي "يوظف سبينوزا المصطلح المذكور بدلالة كونه متميزا عن مصطلح طبيعة الطليعة كتميز الطبيعة عن الله أي تمييز العلة عن المعلول و النتيجة عن المقدمة و لكن يجب الانتباه أن التمييز المقرر لا يعني بأية حال تميز وجودي حقيقي بل تمييز صوري

[1] المرجع نفسه، ص 82.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 201.

[3] زيد عباس كريم: اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 152.

وشكلي نظري، واستعمال مصطلح طابع و مطبوع لتفادي مصطلحين آخرين لدلالة مغايرة هما خالق والمخلوق.[1]

وبتوضيح بسيط "...إن قوانين الطبيعة العامة و أوامر الله خالدة شيء واحد وإن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله اللانهائية ينشأ من الطبيعة المثلث أو زواياه الثلاث تساوي قائمتين، وإن الله بالنسبة إلى العالم كقوانين الدوائر بالنسبة للدوائر كلها فالله هو السلسلة السببية الكامن وراء كل الأشياء وهو القانون تركيب العالم وهذا الكون المتماسك عن الأعراض والأشياء من الله بمثابة الجسر في تصميمه وبنائه وتركيبه والقوانين الرياضية والميكانيكية التي بني عليها"[2] وبهذا الشرح يتضح لنا أن الطبيعة هي تلك القوانين الثابتة التي تسير العالم وفقا لإرادة الله و ليست امتداد للمادة فقط و لا هي قائمة عن عبث بل هي تسير وفق قوانين آلية كما رياضيات والميكانيك وتشمل على الامتداد والفكر "العقل الله) يذهب سبينوزا إلى توضيح ذلك بقوله إني اعتقد إن الإله هو السبب الجوهري لكل الأشياء".[3]

ويميز سبينوزا بين مستويات الطبيعة يعتقد بأن هناك طبيعة طابعة وطبيعة مطبوعة فما هي الطبيعة الطابعة وما المطبوعة؟ "يقول سبينوزا نفهم بالطبيعة الطابعة كل ما هو كائن في ذاته ومتصور من خلال ذاته أو صفات الجوهر التي تعبر عن ماهية أزلية ولا متناهية، وبكلمة أخرى الله بقدر[4] الطبيعة المطبوعة فتنقسم إلى عامة وخاصة، العامة تتألف من كل الأحوال التي تعتمد على الله مباشرة، والخاصة تتألف من الأشياء

[1] حاج دواق: الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 84.

[2] كامل محمد محمد عويضة، سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 103.

[3] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 151.

[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 201.

الفردية التي تتولد من حلة عامة[1]، أي أن الأولى تتولد من الجوهر الواحد مباشرة وهي تلك الأحوال التي تظهران عن صفة الامتداد و الفكر، أما الخاصة هي تلك الموجودات المكونة للعالم التي تتولد من هاتين الصفتين الكليتين "ويبدو أن الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة ليستا متميزتين إلا من الناحية المنطقية و لكنهما يعبران عن حقيقة واحدة ينظر إليهما مرة من حيث إنها عملية ومرة أخرى من حيث أنها نتيجة لتلك العملية"[2]، لا يؤمن سبينوزا أبدا بالغائية الطبيعة عنده هي تسير بشكل ضروري آلي "إذن فإن ما يعتقد على أنه غايات للأشياء، هو في جوهره لا يعدو أن يكون مجرد انطباعات بشرية تريد رؤية الأشياء على أنها مجعولة للبشر، و أن الإنسان مركزها غير أن الصورة الطبيعية عند سبينوزا وحركتها الضرورية النابعة من طبيعتها الطابعة، تقصي القول بالغائية*"[3].

الإنسان "العقل و الجسم":

يرى ديكارت أن الإنسان ذو طابع ثنائي يتكون من الجسم وعقل منفصلين عن بعضهما البعض وهذا ما خالفه سبينوزا بنظرته للإنسان حيث أنه يرى الطبيعة البشرية موحدة بين الجسم و العقل وهو يرى بأن الإنسان ظاهرة آلية تسير وفق قوانين مثل الهندسة حيث يقول سبينوزا "سأكتب عن الكائنات البشرية و كأنني أكتب عن الخطوط والسطوح و الأجسام الجامدة"[4]، وهنا تظهر نظرة سبينوزا للإنسان حيث فسر كل طبائعه على أساس أنها لازمة في الإنسان خاصية موجودة و ثابتة كالقوانين الرياضية فهو فسر

[1] المرجع نفسه، ص 201.

[2] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 152.

* الغائية: تبدل صورة الشياء بانتقالها من حال إلى آخر وأخذها في النمو وبعد الافتقار والاكتمال المتدرج أوحي للبعض بالتسليم للوجود ما يسمى بالغائية مأخوذ من الغاية.

[3] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 91.

[4] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 109.

الإنسان من حيث هو المركز من حال امتدادي هو جسمه ومن حال فكري هو نفسه الجسم آلة مؤلفة من آلات، والنفس فكر الجسم أي فكرة موضوعها الجسم الموجود بالفعل فهي تبدأ وتنتهي مع الجسم، وعلتها خارجة عنها تلتمس في أحوال أخرى من الفكر مقابلة لأحوال و الامتداد التي هي علة الجسم والإحساس ظاهرة جسمية، أما الإدراك فظاهرة فكرية تقوم في الجسم به من حيث إن النفس دائما ما الجسم إياه[1] أي أن الإنسان ذا طبيعة موحدة فكر وجسم الصورة الخارجية له هي الجسم و داخلية هي النفس و لكن ليس كما يرى ديكارت أن النفس هي جوهر الجسم لا بل بصورة موحدة فهما وجهان لعملة واحدة أو جانبان لنفس الكائن الجسم يقوم بالحركات الآلية التي يتلقى أوامرها من الفكر "فالإنسان بهذا الكائن موحد للطبيعة يرى من خارج جسم و من داخل نفلس، لكن أنها مستقلة عن الجسم و إنما متولدة عنه (...) كما ذكر سبينوزا في كتاب الأخلاق "أن الروح الإنسانية في الحقيقة هي الفكرة الإنسانية نفسها، أو معرفة الجسم الإنساني هو الله" (...) و معنى ما ذهبنا إلى تقريره أنه لا وجود للنفس كجوهر مستقل بذاته يباين الجسم من حيث الطبيعة ومن حيث الأفعال والوظائف، و إنما هي مستوى آخر للجسم، والسبب أنه عن الغير الممكن وجود جوهران في الوجود، فالله هو الجوهر الوحيد الذي يظهر في صفتي الفكر و الامتداد و هما بدورهما يتجليان في أشكال الوجود الكثيرة، و من بينها الجسم الإنساني المشير بصفة الامتداد النفس المثيرة لصفة الفكر.[2]

وبهذا الشرح المفصل حول العقل والجسم اتضح لنا أن العقل أو النفس هو صورة لفكر و هو الذي يقوم بعملية متوازنة و الجسم الذي هو بدوره صورة للامتداد منا يوضح لنا الفيلسوف سبينوزا بأنه عملية التي يقوم بها العقل و الجسم عملية موحدة متوازنة فلا

[1] الحاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 98.

[2] نفس المرجع، ص 98.

يمكن أن يكون هناك عمليتين مستقلتين للوجود واحد وهما مندمجان تماما بهذه العملية و لا يملك أحدهما سلطة التأثير على آخر لأنهما شيء واحد" إن حكم العقل ورغبة الجسم وميوله شيء واحد بعينه و كل العالم متحد بنفس هذه الطريقة المزدوجة فأينما وجدت عملا ماديا فليس ذلك إلا جانبا واحدا من العملية الحقيقية التي لا يراها بوجهيها إلا النظر الشامل الذي لا يمكنه أن يدرك العملية الباطنة المستترة وراء الظاهرة المادية".[1]

وهنا وضحنا بهذا التحليل أن العملية العقلية و المادية يرتبطان بنفس و بهذا هما شيء واحد.

و نجد سبينوزا ينفي فكرة أن العقل وجود ملكات متصلة بالعقل كالخيال الذاكرة و الإرادة إن العقل و الإرادة مرتبطان مع هذه الفكرة أو تلك الفكرة أو الرغبة كالصخرية في هذه الصخرة و أخيرا الإرادة و العقل بشيء واحد بعينه لأن المشيئة فكرة طال بقائها في الشعور ثم حولت إلى عمل، و كل فكرة تصير عملا ما لم تؤخرها فكرة المعرضة، فالفكرة نفسها هي المرحلة الأولى لعملية عضوية متحدة يتممها العمل الخارجي[2] يرى سبينوزا أن الإرادة هي عبارة عن رغبة و غرائز و الرغبة لا تعمل دائما بالعقل فهي أحيانا ما تسير وراء شيء غامض يرى بأنه شعور وراء حفظ البقاء و بهذا هو يرى بأنه يجب فهم السلوكات و الأعمال البشرية لأن الشر و الخير هو عبارة عن خاصية إنسانية يجب علينا فهم عواطف فيها.

[1] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 107.

[2] نفس المرجع، ص 108.

"لقد فرضت على أن أسخر أو أندب أو ألعن أو أكسر العواطف لا باعتبار كونها رذائل وشرورا في الطبيعة البشرية و لكن بوصفها خواص لازمة لها كتلازم الحرارة و البرودة و العواطف و الرعد و ما شابهها لطبيعة الجو".[1]

[1] المرجع نفسه، ص 109.

المبحث الثاني: الأخلاق.

إن للأخلاق عدة تعريفات فهي مرتبطة بالعادات وتقاليد الشعوب وكذا نجد لكل باحث وفيلسوف تعريفه الخاص فنرى أناه مرتبطة عند بعض بالسلوك و كذا بالغير والشد عند الإنسان والملذة وشعور بالألم وكذا كيف يمكن تحقيق السعادة، "يبدأ اسم الأخلاق ونعت الأخلاق، لا يغنيان عن مسعى تعريف الأخلاق تعريفا تاما من الناحية المنطقية و صحيحا من ناحية الواقعية، وهذا مطلب عسير بلا ريب لأن واقع التجربة الأخلاقية واقع صيرورة موصولة، و لذا بات تعريفها تعريفا جامعا مانعا، أي ثابتا واحدا شاملا، أشبه بالمحال"[1].

"وأجمَلَ معجم لالاند الأخلاق في دلالات أربع: الأولى هي أن الأخلاق جملة قواعد والسلوك المقبولة فيعصر أو لدى جماعة من الناس و بهذا المعنى يقال أخلاق جملة القواعد السلوك التي تعتبر صالحة صلاحا لا شرطيا و الثالثة هي أن الأخلاق نظرية عقلية عن الخير و الشر و هذه الأخلاق فلسفية و الدلالة الرابعة أخيرا هي أن الأخلاق جملة ما يتحقق في العلاقات الاجتماعية من أهداف حياة ذات صبغة إنسانية أعظم وبقول أبسط: الأخلاق منظومة قواعد السلوك التي ينبغي على المرء إتباعها ليحيا وفق طبيعته الحقيقية (...) و أن الأخلاق الفلسفية (...) منظومة منهجية أي بناء منطقي يشمل أولا على تصور نظري عن الإنسان و العلوم و ثانيا على مبدأ أساسي"[2]، وهذا يعني أن الأخلاق هي قواعد السلوك والأخلاق في الفلسفة هي المنهجية والبناء المنطقي.

وبموجب هذا الشرح حول تعريف الأخلاق نرى أن لكل فيلسوف طريته في دراسة الأخلاق و في بحث عن أخلاق جديد عن ما يخدم المجتمع في المستقبل نجد هنا أنه البحث

[1] معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 38.

[2] المرجع نفسه ص 38.

عن أخلاق فيما يجب أن يكون بأحكام تسمى أحكام الوجوب، وبهذا نرجع إلى العصر الحديث إلى سبينوزا الذي أنتج كتابا كاملا عن الأخلاق و بما أنه كان في عصر العقل والعقلانية عصر تمكنت العلوم الرياضية من شق طريقها إلى شتى المجالات فصار البحث يستلزم صرامة معرفة يقينية كالعلوم تمكنت حتى من الفلسفة كتب سبينوزا كتابه بطريقة هندسية فكيف كان ذلك؟ و هل استطاع أن يكون محكما كما أراد له أن يكون؟

المنهج الهندسي

يعتبر المنهج الهندسي من أبرز المناهج و الذي اتسم بصرامة قوانينه وكذا استخدمته الرياضيات بصورة كبيرة و على نطاق واسع من أجل الوصول إلى نتائج و حقائق علمية مضبوطة وقد لاقى نجاح واسع في القرن السادس عشر و القرن السابع عشر وأصبحت حتى الفيزياء بعد أن كانت ميكانيكيا تلجأ إلى الرياضيات و تعبر بشكل رياضي كقانون الجاذبية و كذا أصبح حتى التنبؤ بالمستقبل يحتاج إلى الرياضيات و لما كانت الفيزياء والفلك قد جعلوا من الرياضيات و قوانينها شيء لازم أصبح العالم كله يبحث عن تلك الدقة وأصبحت حتى الفلسفة تبحث في صياغة أفكارها و نظريتها بدقة العلوم الرياضية و أصبح أصحاب الاتجاه العقلي يسرون خلف هذا النسق الرياضي فأصبحت البديهيات و البرهنة وتعريفات دون ظهور التناقض في نظامها هذا لقد بدأ تتغير الكتابات الفلسفية من طرقة بلاغية إلى توجه خطاب متميز بالصرامة بحيث يخاطب العقل وواضح فلا تجد فيه أي نوع الاسترسال.

ولو نذهب إلى جميع كتابات سبينوزا نجدها في شكل معادلات و كذا نجد كتابه "الأخلاق" الذي كتبه بطريقة هندسية الذي يرى أنه المنهج الذي يستطيعن أن يحتوي فلسفته، "النظام الهندسي لأنه اعتقد أن فلسفته عميقة جدا و أن المنهج هو الوحيد الذي يمكن أن

يحتوي تلك الفلسفة، بل لأن هدفه كان تأسيسا للأخلاق على أساس علمي شامل"[1]، لقد وضع الباحثين أفكارهم مثل هذه الطريقة لم تكن مثل طريقة الدقيقة التي وضعها بها سبينوزا لأنه كان شرطا أن يكون عقل هو المدرب لأفكار.

وأراد فؤاد زكريا أن يثبت أن منهج الهندسي لسبينوزا لم يكن طريقة اصطنعها لأغراضه الخاصة فيقول "أول تبريد لاستخدام هذا المنهج هو أنه أفضل وسيلة للتعبير عن الأفكار بدقة كاملة (...) في مقدمته التي صدر بها كتاب مبادئ الفلسفة الديكارتية".[2]

فهو أفضل طريقة للوصول إلى اليقين وللتخلص من الخلط الذي استمت به الفلسفات السابقة (...) ويقرب من ذلك القول بأن سبينوزا أراد أن يتجنب الأسلوب البلاغي والإطناب الذي يرتبط عادة بالكتابة المسترسلة (...) استخدام سبينوزا للمنهج الهندسي لم يكن أمرا عارضا أو اختياريا، هو الرأي القائل إن المنهج الهندسي يستبعد الطريقة الغائية في التفكير، وأنه يتفق مع الروح المعقولة و الإيمان السائدة في فلسفة سبينوزا".[3]

ومن هنا نرى فكرة سبينوزا في أخذ المنهج الهندسي من اجل عرض أفكاره بطريقة متسلسلة ولم يكن مجرد اقتداء بمن سبق ولا يجب النظر إلى هذا المنهج على أساس أنه طريقته الوحيدة للكتابة أو إن كان المنهج السائد في عصره فحذا حذو الأولين بل هو اتبعه لأنه شامل و احتوى الفلسفة الأخلاقية كاملة "لذا يجب النظر إلى المنهج الهندسي بوصفه جزءا مهما من المنظومة الفلسفية السبينوزية"[4] وعلى الرغم من دقة المنهج الهندسي في صياغة أفكاره إلى أن القارئ لا يمكن أن يفهم كتابه فهو دائما ما يجب نفسه بحاجة إلى

[1] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 100.

[2] فؤاد زكريا، إسبينوزا، ص 38.

[3] المرجع نفسه، ص 38.

[4] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 103.

تفكيك الرموز و كذا أن هناك مصطلحات استخدمها تعني غير معنى الدارج "لذلك فهو يستخدم كلمة جوهر حيث نضع كلمة حقيقة إلى آخر ما هنالك"[1] فمثلا الجوهر جوهر شيء أي أصله كالخشب جوهر الطاولة فهو يعتقد أن الجوهر هو الله و لا يوجد جوهر غيره وبهذا لا يمكن أن نفهم سبينوزا ما لم نقرأ كتابه من أوله إلى آخره ونحن دائما بحاجة لفك رموز لغته "إن قراءة سبينوزا لا تكفي، بل يجب دراسته كما يدرس إقليدس (...) إذ أننا نجد عملا في تاريخ الفلسفة يتكبد في القارئ خسارة بتخطيطه سطور قليلة مثل هذا الكتاب، وكل جزء منه يعتمد على الأجزاء السابقة و قد تتحول بعض القضايا الواضحة و التي تلوح بأنها لا حاجة لها إلى أن تكون أساسا لتطور منطقي جليل كما أنك لم تفهم أي فصل هام فهما تاما ما لم تكن قد قرأت و تفكرت و أمعنت النظر في كل الكتاب.[2]

إن هدف سبينوزا من هذا المنهج هو أن يجد حقيقة في قوانين الطبيعة التي تعبر عنها الأشياء و المتناهية المتغيرة فمثلا الإنسان قبل أن يوجد كان حقيقة وجوده واقع و لذلك من خلال التركيب فهو يجب عليه معرفة قوانين الطبيعة الكامنة التي كانت موجودة في الواقع قبل أن يوجد هو أيضا "الفكرة في عالم الأفكار مطابقة لموضوعها في عالم الواقع إذا كان هناك أي شيء في الطبيعة بدون ارتباط مع أي شيء آخر و كنا ندرك له ماهية ذاتية سوف تكون مطابقة بكل الطرق في الحقيقة الذاتية[3]" من هنا ندرك أن المنهج الهندسي كما هو مرتبط بالرياضيات مرتبط بالفيزياء نرى سببية الفيزياء وقوانين الهندسة الظاهرة بشكل واضح من خلال النظام الاستدلالي في التعريفات والبديهيات والبراهين ونظرية السببية التي استخدمها في الطبيعة والذي ساهم في نجاح المنهج هو أنه ربط بسياق تركيبي بين علاقات

[1] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 99.

[2] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديبي، تر: فتح الله محمد مشعشع، مكتبة معارف، بيروت، ص 213.

[3] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 106.

الأشياء وعلاقات الأفكار رأي بين الفيزياء والرياضيات على عكس الأولين الذين ربطوا بين المبادئ الرياضية ومبدأ الهوية في الإدراك و هذا ما رفضه سبينوزا–مبدأ الهوية– فإن الخطأ الذي وقع فيه معظم الفلاسفة التقليديين هو ردهم الأحكام الرياضية بما هي أحكام تركيبية قبلية إلى أحكام تحليلية قبلية و مرد ذلك إلى الاستدلال في الرياضيات وفي المنطق.[1]

لقد عرفت "الأخلاق" بأسلوب "إقليدس" بتعريفات، و بديهيات و نظريات وكل شيء بعد البديهيات تفترض البرهنة عليه بصرامة بحجم استنباطية"[2] كما وضحنا من قبل أنه من خلال قراءتنا لكتاب الأخلاق نجده قد ركب بين الفيزياء والرياضيات و لكن من الجانب النظري فقد اتبع إقليدس حيث بدأ بالتعريفات "إن هدف الذي يوجهنا سبينوزا إليه في هذا القسم من المنهج هو إدراك الشيء سواء من خلال ماهية فقط أو من خلال علته القريبة (...) يجب أن نكون حذرين". بحيث لا نخلط بين ما موجود في الإدراك فقط، و بين ما موجود في الشيء ذاته وعلى ذلك فإن الأساس الأفضل للوصول إلى استنتاج سيكون إما ماهية مؤكد معينة، أو تعريف صحيح وواضح"[3].

وبهذا نصل إلى أن التعريف عند سبينوزا يكون إذا كان شيء و غير خلوق فإذا كان مخلوق فيجب تعريفه بعلته القريبة مثلا المثلث متساوي الأضلاع كل زواياه متساوية وكل زاوية تساوي 60° ومجموعها 180° أي يجب ذكر خصائصه، دون أن نأخذ أو نربطها بأشياء أخرى أما غير مخلوق فيشرح من خلال شيء موجود في ذاته مثل "**أعنى بالإله كائنا**

[1] نفس المرجع، ص 108.

[2] براتراند راسل، تاريخ الفسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنطي، المصرية العامة للكتاب، 2002، ص 124.

[3] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 112.

لا متناهيا إطلاقا، أي جوهرا يتألف من عدد لا محدود من الصفات تعبر كل واحدة منها عن ماهية أزلية لا متناهية". [1]

و هو يؤكد أن يكون الشيء المعرف موجود و تعريف خالي من التجريد وقد استخدم التعريفات في كتابه الأخلاق بصورة استدلالية بحيث تسمح له بتغيير الرموز كأن يبدل بين (الجوهر، الله، اللامتناه، الطبيعة) التي تعني الله.

البديهيات فالطريقة التي يتبناها سبينوزا في منهجه الهندسي تقوم على التجريد المعاني الحسية المرتبطة بالحدود الأولية التي يوضحها في تعريفاته و بالعلاقات الأساسية الرابطة بين هذه الحدود وفق نظام الأسباب.[2]

الذي يقترحه في فلسفته جملة و بالتالي سوف يتركز اهتمامه هنا بالأبنية الصورية فقط، إذ أن هذا الاهتمام سيكون كافيا لتكوين أفكارا صحيحة، و بالتالي فليست هناك حاجة بعد ذلك لفهم سلسلة الأشياء والمتغيرة الخاصة على حد التعبير".[3]

البديهية التي يستعملها سبينوزا في كتابه الأخلاق تكون مرتبطة بالتعريف وكذا لها علاقة بالموضوع ومرتبطة به و كذا تكون ذات إدراك صوري فهو ليس بحاجة إلى إثباتها وكذا يجب على البديهيات أن تكون متصلة بالقسم الخاص بها و هو لا يكرر أي من البديهيات لأنه ليس بحاجة إلى إثباتها لأنها بداهة لا هي منطقية و لا رياضيةّ.

[1] باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ص 30.

[2] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 114.

[3] المرجع نفسه، ص 115.

مثال "**التعريف أعني بالجوهر ما يوجد في ذاته ويتصور بذاته أي ما لا يتوقف إنشاء تصوره على تصور شيء آخر**[1]، "بديهيات" **إن ما يتعذر تصوره بشيء آخر، لا بد من تصوره بذاته**".[2]

البرهان

"قد اتخذ البناء البرهاني عند سبينوزا أسلوب يتخلص بتعيين اللامعرفات أولا، ثم تعريف الأفكار التي سبقتها حتى يتم البناء أجمعه، فنراه إذا أراد البرهان على أن الفكرة مشتقة من النظام، فما عليه إلا إرجاع هذه الفكرة إلى أفكار التي استخدمت في تعريفها، وإرجاع هذه الفكرة إلى التي سبقتها و هكذا يسمى هذا النوع من البرهان بالإرجاع أو الرد".[3]

الأخلاق (نظرية الحرية–السعادة):

في الباب الخامس كتاب "الأخلاق" عند سبينوزا الذي كان عنوانه (في قوة العقل أو في الحرية الإنسان)، اندرج إلى كيفية الوصول إلى الحرية حيث قال "**أنتقل أخيرا إلى هذا الجزء من (علم الأخلاق) حيث يتعلق الأمر بطريقة الموصلة إلى الحرية أو السبيل إليها**"[4] يذهب سبينوزا في كتابه هذا إلى أن تبين قوة النفس أو العقل وهو يرى على خلاف غيره من الفلاسفة أن الأخلاق لا تهتم بكيفية سمو النفس إلى الكمال أو كيفية رعاية الجسم لأن كلا هاتين من اهتمام المنطق و الطب أما اهتماماته في الأخلاق كانت على حد ما من التعبير شاملة بين عدة مقاصد من الفضيلة أو ثلاثة أشكال بأصح تعبير، ما بين الفضل والرحمة

[1] باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، ص 30.

[2] المصدر نفسه، ص 31.

[3] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 118.

[4] باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، ص 353.

والمحبة وهذا النوع من الأخلاق التي تدعو إلى التسامح وإضفاء فضيلة الحب لكي تتغلب على الشر فينا و ذلك بأن يسود الخير وهذا ما دعا إليه (المسيح و بوذا) و نوع الثاني هو إضفاء فضيلة القوة و هو ما جاء به ميكيافلي ونيتشه وكذا النوع الثالث من الأخلاق إلى التي يتحكم فيها العقل و يكون الفضيلة الأساسية فيها و التي تفرض على ظروف أن تتحكم في أن العقل هو من يعطي أوامره متى يكون الحب و متى تكون القوة وبين الفضائل المثالية الحب و القوة والعقل يأتي سبينوزا ويوفق فيما بينها فيذهب في بادئ الأمر إلى أن النفس.

ولهذا قال في القضية واحد "**يقدر ما تكون أفكار (Cogitotiones) الأشياء وصورها الذهنية (Idece) منظمة ومترابطة في النفس تكون انفعالات الجسم أغنى صور (Imagines) الأشياء على نفس النظام والترابط في الجسم**"[1]، ويرى هذا سبينوزا أن ترابط نفس الأفكار في نفس وبهذا الانفعالات في جسم مترابطة أيضا كلها بصور الذهنية ومرتبطة بالنسب وبهذا "فلما كان نظام الأفكار هو نفسه نظام الأشياء عند سبينوزا بالتالي فإن نظام الأفكار غير متعادل عن نظام الرغبات والأهواء الجسدية فالإنسان من حيث هو متوحد عيني، فهو ليس كائن معرفة بقدر ما هو كائن رغبة[2] يرى سبينوزا "أن الإنسان لا يجب أن يضحي بنفسه من أجل الآخرين وأن غريزة البقاء فيه ليست شيئا سيئا والأنانية والرغبة والشهوات التي يعتبرها المثاليين شيئا شريرا هي نتيجة لازمة للغريزة العليا حفظ البقاء –ويرى أن فضيلة القوة هي "قوة العمل فهي نوع من القدرة" وكلما زادت مقدرة الإنسان في الاحتفاظ ببقائه والبحث عما ينفعه كلما زادت فضيلته"[3] إن سبينوزا

[1] نفس المصدر، ص 357.

[2] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 208.

[3] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 112.

يعتبر العواطف والمشاعر لها الرغبة في الكمال و القوة و الإنسان له جانب من الأنانية لا مفر منها وأن ماهية الإنسان هي الرغبة.[1]

لذلك لا يجب أن يتحكم بها بواسطة العقل و أو عن طريق طبيعة خيرة كما جاء عند المسيح و بوذا أو طبيعة شريرة بل إن نظام الأخلاق عنده مرتبط بالنفس و الجسد وعقل هو نظام الأفكار لا يمكنه أن يتحكم في طبيعة الإنسانية.

"ويقول سبينوزا إن كل فرد لديه مبدأ داخلي أو قدرة على البقاء –أي ما يدعوه سبينوزا "Constus" "القدرة أو المحاولة التي يسعى بها كل شيء أن يستمر في وجوده"، وبتعبيرنا عن طبائعنا ومقاومتنا القوى الخارجية نستطيع أن نصبح أحرار و هذا التعبير الذاتي يشمل، عند سبينوزا عملية التنظيم العقلي التي يمكن بها، من خلال ممارسة الميل أن نوجه عواطفنا ونسيطر عليها وأن نعثر على ذواتنا الحقيقة[2]، بعدما عرجنا من القوة والمقدرة عند سبينوزا الذي يرى بأنهما سبينوزا أن التواضع هو صفة تدل على الحجز وأن الندامة هي صفة ذامة وليست فضيلة "كما يكره سبينوزا التواضع نجده يكبر ويقدر الاعتدال ويعترض على الفخار أو الكبر إن لم يكن مقرنا بالعمل"[3]، فهو يرى أن الإنسان المتكبر يجعله عرضة إلى الاستغلال ويجعله يحتقر الناس الذين هم دونه و ينسب أعمال الشر لهم.

[1] زيد عباس كريم، اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 208

[2] جون كوتغهام، العقلانية، ص 69.

[3] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص 228.

بينما التواضع "هو صفة التي تجعل الإنسان ضعيف و بينما هو يرى بالقوة لا مثل نيتشه لا يؤمن بالتواضع، و التواضع في نظره نفاق وتملق من جانب من له غرض، أو خجل و وجل ومن صفات العبيد"[1] وبهذا هو يمجد الاعتدال.

يرى سبينوزا أن مشاعر الحقد و البغض هي مشاعر سيئة و هي أمراض و يجب العلاج منها و ذلك يتخلص من هذه المشاعر "وهو يعتقد أن التخلص من هذه النزعات الخبيثة أمر ميسور منه فالبغض مثلا يمكن التغلب عليه بالحب".[2]

هو يرى أن البعض يسبب الشقاء ودفع البغض بالحب ينتج عنه السعادة و اللذة ويعطيه القوة، وعلى الرغم من أنه يرى بالقوة كفلسفة الأخلاقية عند نيتشه وميكيافلي ويرى بفضيلة الحب كما هو حال عند المسيح فإنه لا يتفق بأن تكون عواطفنا هي المتحكمة لأن مصيرنا سيكون مرهونا بالغرائز التي تزيد إشباع رغباتها و لذلك يرى كما جاء في الفضيلة عند سقراط أنه يجب ربط الانفعالات بالعقل "و لكن سبينوزا يضيف إلى ما جاء به سقراط و الرواقيون ناحية هامة فهو يعرف بأن العاطفة تكون عمياء إذا تجردت عن العقل و أن العقل يكون ميتا إذا تجرد العاطفة (...) و يرى سبينوزا أن نحارب العواطف الهوجاء التي لا تقوم[3] على العقل بالعواطف التي يسندها العقل وبذلك يتعاون العقل والعواطف على الوصول إلى الهدف المطلوب"[4]، أي على العقل أن يحول العواطف إلى أفكار من أجل التحكم في الشهوات لأنه إذا كانت العواطف هي التي تتحكم في الإنسان تكون أفعاله ناقصة غير مضبوطة أما إذا تحكم العقل تكون فضائل "إن جميع

[1] المرجع نفسه، ص 227.

[2] نفس المرجع، ص 228.

[3] المرجع نفسه، ص 228.

[4] المرجع نفسه، ص 230.

الشهوات تكون عواطف فقط ما دمت تقوم على أفكار سديدة أو مناسبة وتتحول هذه العواطف إلى فضائل عندما تتولد عن أفكار سديدة.[1]

وهنا يتسنى لنا السؤال التالي هل يعتبر تحكم العواطف حرية الانفعالات وإذا تحكم العقل هل تلغى الحرية عند الإنسان؟ و أين تبدأ و تنتهي حرية الإنسان عند سبينوزا؟

الحرية

"الحر ضد العبد، والحر الكريم والخالص من الشوائب أو الرق أو اللؤم"[2]، أما تعريف الحرية عند سبينوزا "... الحر بالنسبة لي أن شيء ما يكون، و يعمل من خلال ضرورة طبيعته الخاصة، عكس التي تتحدد وجودا و فعلا من أشياء أخرى خارجة عنها...، ... وهنا تظهر الخصوصية الفلسفية في مذهب سبينوزا في رؤيته للحرية (...) حيث جعلها وليدة المقدرة الخاصة للطبيعة الذاتية، المتعلقة بالشيء عينه".[3]

يرى سبينوزا أن الحرية لا تولد مع الإنسان بل يكتسبها "حيث يرى أن الإنسان لا يولد عاقلا أو حرا بل إن التعقل أو التحرر هو وليد مسيرة(...) و بذلك لا يكون تحرر الإنسان إلا بقدر معرفته بالأسباب التي تقود فعله أو وعيه بالضرورة الطبيعية[4]، الإنسان حسب سبينوزا لا يكون حرا إلى إذا تحكم عقله في انفعالاته أي أن يجب على الإنسان ربط أفكار بنظام الطبيعة من اجل أن تستقل حريته و يكتسبها عن طريق نظام الوجود الذي توجد فيه عناصر الضرورية لهذا الوجود "...أن كل ما هو جزئي أي كا ما يرتبط

[1] المرجع نفسه، ص 230.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 461.

[3] حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ص 146.

[4] زيد عباس كريم، سبينوزا اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 218.

في وجوده بغيره و يستمد منه عناصر ضرورية لهذا الوجود، هو بحكم هذا الارتباط ذاته فاقد لحريته..."[1]

و بهذا يرى سبينوزا على خلاف غيره من الفلاسفة أن الحرية هي التحرر من الغرائز والنزوات الشهوانية لا التحرر من المجتمع و معتقداته و تحرير العقل من البدع و الخرافات "إن نظرة سبينوزا تستهدف تحرير الناس من الاستبداد والخوف "فالرجل الحر لا يفكر فيما هو أدنى من الموت و حكمته هي أمل لا في الموت و إنما في الحياة"[2]

ومن خلال تهذيب الانفعالات بالعقل و عن طريق مراعاة الضرورة الطبيعية يحدد لنا الهدف في هذه الفضائل و الهدف من بحثه في الأخلاق الذي هو السعادة "ويعرف السعادة ببساطة بكونها وجود اللذة و انتفاء الألم"[3]، "وبالمحصلة فإن السعادة عند سبينوزا تتحدد بتعقل العقل للجسم".[4]

إن الحكمة عند سبينوزا متمثلة في "محبة الله عقلية" وليست متمثلة في أخلاق العامية "إن الرجال الحكماء في نظر سبينوزا هم رجال صالحون بفضل عقولهم، رجال يسترشدون العقل في البحث عما ينفعهم و يحبون لأنفسهم ما يحبون لغيرهم".

لذا يمكن أن نعرف الحكمة "تقوم على "محبة الله العقلية" وعلى تطابق بالفكر الفردي مع الفكر الخالد والنظام الكوني حينئذ يغدو الحكيم سعيدا فاضلا، لا يستطاع إغلاقه أو إحداث اضطراب في نفسه، والله والأشياء في سياق من الضرورة والحتمية، يبلغ السكينة و يعيش في فرح، و ينتقل إلى كمال أرفع هذا ليس حكيم زاهدا، وإنما له

[1] فؤاد زكريا، إسبينوزا، ص 90.

[2] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ص 127.

[3] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطلق الجديد، ص 111.

[4] زيد عباس كريم، سبينوزا اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، ص 219.

الحق "في أن يستعمل الأشياء و يتلذذ بها بقدر المستطاع"[1] هنا يحدد سبينوزا أن على الحكيم أن يتميز بالحكمة و التي ربطها بمحبة إله عن طريق العقل و بواسطتها يستطيع كبح الانفعالات وهذا لا يعني أنه يزهد و لا يفكر في ملذات الحياة بل يجب عليه الموازنة فيها بين الحب العقلي لله والمحافظة على الوجود وسوف تكون له الغبطة و هذا "**في القضية 42 ليست الغبطة Beatimido جزاء الفضيلة بل هي الفضيلة عينها ولا ينشرح صدرنا (Gaudemus) بذلك بكوننا نكبح شهوتنا بل إن انشراحنا هو ما يسمح على العكس بكبح شهواتنا**".[2]

وتكمن الغبطة في حب إله "**تتمثل الغبطة في حب الله و ينشأ هذا الحب عن النوع الثالث من المعرفة وعلى ذلك فلا بد أن يكون هذا الحب مرتبطا بالنفس بوصفها فاعلة**"[3]، وهنا يوضح لنا سبينوزا أن الحب الإلهي يحقق لنا السعادة و لذلك ربطه بالعقل لذلك تعتبر السعادة هي الفضيلة بذاتها و لطالما كان العقل سعيدا بالحب الإلهي يكون مقدار تحكمه في انفعالاته أكبر لذلك يقول "**علاوة على ذلك بقدر ما تنشرح النفس بهذا الحب الإلهي أو يهذب الغبطة تزداد معرفتها**"[4]، و أنه إذا سيطر على شهواته تظهر سعادته "ن القدرة على كبح الانفعالات تنشأ عن السعادة نفسها.[5]

ومن هنا تظهر البنية الأخلاقية عند سبينوزا حيث وضح لنا سلطة النفس على الانفعالات وكيف يصير الإنسان حرا وفق الضرورة الطبيعية وكيف يحكم العقل في ضبط الانفعالات لتصير فضائل من أجل أن يتحرر من نفسه بواسطة العقل و هذا الأخير الذي

[1] معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 394.

[2] باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، ص 397.

[3] المصدر نفسه، ص 397.

[4] المصدر نفسه، ص 397.

[5] المصدر نفسه، ص 397.

عليه أن يتصل بمحبة إله بواسطة العقل من أجل كبح الرغبات ليصبح الإنسان حكيما، "**وندرك بهذه الصورة ما هي منزلة الحكيم و ما له من قدرة يفوق بها الجاهل الذي لا ينقاد إلا لشهواته فالجاهل فضلا عن كونه تتقاذفه العوامل الخارجية بشتى الطرق و لا ينعم قط برضى النفس الحقيقي يكاد يكون غير واعي تماما بذاته و بالإله و بالأشياء و حالما يكف عن الانفعال فهو يكف أيضا عن الوجود**".[1]

والوصول إلى الحل من أجل حياة متوازنة و طرح سبيل لبلوغ السعادة "يعيدنا إلى الذات بلا ريب لكنه يجعل الحياة الأخلاقية حياة عقلانية، و الحكيم منفردا، ذلك يغرق في التأمل، بل ويغرق الإنسان في الله بقساوة قصة و يقيم على الله وفي الله غبطة التي تجاوز للسعادة و الفضيلة مأخوذتين معا"[2]

وهنا وضح لنا سبينوزا الحكيم الذي لم يرتبط بالإنسان الاستقراطي عند أرسطو و الإنسان الأعلى عند تشبه بل هو إنسان عاقل و إذا كان سبينوزا خير ممثل للحكمة العقلانية و حكمته التأمل في الحياة لا في الموت" حيث أنه ربط أيضا بجوانب الحياة.

[1] نفس المصدر، ص 398.

[2] معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص 394.

المبحث الثالث : السياسة

يؤكد سبينوزا واستنتاج عما سبق من أن ضرورة التفكير والمعرفة وكذا استخدام العقل هو السبيل الوحيد لتحقيق الوجود – الحفاظ على الوجود والاستمرارية – التي تعتبر غريزة في النفس لأن المعرفة هي التي تمكن الإنسان على الفعل والفهم وكذا التأمل والتفكير، وعند سبينوزا هي التحرر من العبودية ، لان الغرائز والرغبة ما هي إلا حالة من الجهل والاستعباد وتحقق الحرية إذا تحرر الإنسان من نفسه وكذا فالإنسان مسؤول أمام نفسه لكي يحرر نفسه ويمكن ضرورة المعرفة هي قوة من أجل تحقيق الوصول إلى السعادة ، وإذا كان هذه هو السعي إلى الاستمرار في الوجود أو conatusle نتوصل إلى أن الحياة هي في الأساس حياة اجتماعية سياسية وبهذا إذا انتقلنا من الحياة النفسية والماهية الإنسانية وماهية الوجود اللامتناهي في كتابه (الأخلاق) إلى الحياة المدنية وصيرورتها في المجتمع وكيفية تحقيق الوجود في هذا الكيان الاجتماعي وسياسة المناسبة له، وكذا تنظيم سلطة سياسية ومدنية تخدم حياة الفرد ، تأثر سبينوزا بمقتل الأخوين دوويت واعتبره فعل بربري، ولذلك ألف رسالته في اللاهوت والسياسة التي يشرح فيها الوضع وأكد التزامه بقوانين الدولة ودساتيرها، هو يرى طاقة الحاكم، فهو حتى لما طرد لم يعصي أبدا القوانين واحترم مؤسساتها .

أما كتابه رسالة في السياسة التي كتبها في سنواته الأخيرة ، ولكنه مات قبل إتمامها "لقد وضع سبينوزا الذي كان صديقا إلى دويوت الجمهوري فلسفة سياسية عبرت عن آمال الأحرار والديمقراطيين في هولندا في ذلك الوقت وأصبحت إحدى المنابع الأساسية لجدول الأفكار التي بلغت أوجها في رد سوء الثورة الفرنسية ، لقد وضع سبينوزا فلسفته السياسية التي يؤيد فيها الديمقراطية في نفس العصر الذي كان فيه هوبز يمجد الملكية

المطلقة في انجلترا ويستنكر ثورة الشعب الانجليزي على الملكية بنفس الشدة التي كان ملتون يدافع فيها عن الشعب "[1].

من الطبيعة البشرية إلى التجمع المدني

يرى سبينوزا أن الإنسان ليس مهيئ للنظام الاجتماعي لأنه تحكمه غرائز (الحب، الكره، الفرح، العنف، الحقد، الألم) وهذه السلوكات متمثلة في الرغبة "فمعظم الناس تحتبس في صدورهم ثورة على التقاليد والقوانين، لأن الغرائز الفردية أقوى وارسخ من الغرائز الاجتماعية، ولذا كانت هذه الأخيرة في حاجة إلى التدريب، ويزعم سبينوزا أن ليس الإنسان خيّرًا بالطبيعة، وبالرغم من أن سبينوزا لا يعتبر الإنسان خير كما اعتقد روسو، ولكن الاجتماع هو الذي يولد التراحم والتعاطف"[2]، فنجد سبينوزا يربط بين الأخلاق والسياسة ، ولذلك في كتابه الأخلاق الذي كان بمثابة (نظرية للطبيعة البشرية) فهو بما يلي كتاب السياسة وكتابه رسالة في السياسة واللاهوت كانا امتداد لكتابه الأول (الأخلاق) " يعتقد سبينوزا أن الفلسفة السياسية تنبع من التمييز بين النظام الطبيعي والأخلاقي[3] من وجهة نظر سبينوزا ، وحسب بنائه للطبيعة البشرية وبنيوية سلوكاته ، إن الإنسان أيقن بأن السلوك لا يمكن أن ينجح على أرض الواقع إلا في ظل السياسة والتمدن وبهذا يتبين لنا الترابط بين السياسة والأخلاق في مشروعه الفكري حيث أن الأخلاق التي يسعى الإنسان إلى الوصول إليها عن طريق التحكم في الرغبات والعمل على تعزيز القوة التي تتجسد في الأفعال والسلوكات وتكبح الغرائز الجامحة عن طريق العقل أو الضرورة المعرفية من أجل تحقيق الحرية الذاتية بواسطة الحب العقلي لله، تجسد لنا قوة الإنسان في

[1] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 122.

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، ص 172.

[3] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص122.

التحكم في أفعاله وسلوكاته بفطنة ، ونتيجة عن تجربة أيقن سبينوزا أن هاته الأخلاق مرتبطة بالمجتمع الذي يكون مرتبط بفضاء سياسي، "فالسياسة تنظيم أمور دولة وتدبير شؤونها، وقد تكون شرعية، أو تكون مدنية فإذا كانت شرعية كانت أحكامها مستمدة من الدين وإذا كانت مدنية كانت قسما من الحكمة العملية"[1]. وبهذا يقصد سبينوزا أن السياسة هي التي تنظم أمور الشعب والدولة (status) "جمع من الناس مستقرون في أرض معينة وفق نظام خاص أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له ، فالدولة إذن هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجموعة من الأفراد"[2] ولذلك أن الممارسة السياسية تسعى إلى فهم الواقع، والدولة هي أداة يحصن بها الأفراد أنفسهم وهي مجالهم الخاص "لا يمكن أن يحقق الإنسان طبيعته كإنسان إلا في ظل الدولة المدنية"[3] فتصبح السياسة واحدة من أساسيات المثابرة على الوجود ، يقول سبينوزا في كتابه السياسة واللاهوت" **الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة أو إرهاب الناس، أو جعلهم يقعون تحت نير الآخرين، بل هي تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان أي يحتفظ بقدر المستطاع بحقه الطبيعي في الحياة وفي العمل دون إلحاق الضرر بالغير (...) فالحرية إذن هي الغاية الحقيقية من قيام الدولة**"[4] وبهذا نفهم أن " رضى الإنسان حينما قبل أن يكون عضوا في المجتمع ، أن يتنازل عن بعض قوته، فلكل فرد الحق أن يستعمل قوته في اكتساب مصالحه على شرط أن لا يتعدى حرية الآخرين التي يجب أن تكون مساوية

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 679.

[2] المرجع نفسه، 576.

[3] فرانسيس وولف، أرسطو والسياسة ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ط1، 1994، ص 121.

[4] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر وتق: حسين حنفي، مر: فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر، 2005، ص 437.

لحريته وبذلك يكون الفرد قد أعطى للجماعة جزء من قوته الطبيعية في المقابل أن تمكنه الجماعة من استغلال ما بقي له من القوة إلى أقصى حد مستطاع دون أن يخشى على نفسه خطر واعتداء"[1]، وبهذا يتبين لنا أن سبينوزا وعلى خلاف غيره من الفلاسفة الذين من قبله، وكذا فلاسفة عصره، يرى أن الإنسان وجد لكي يحقق السعادة مع الآخرين ، لا لأنه وجد ذا طبيعة غايتها وهدفها التجمع السياسي، كما يرى أرسطو الإنسان" حيوان سياسي" "الاجتماع يغذي ويقوى الغرائز الاجتماعية، شيئا فشيئا " فلا يولد الإنسان لكي يكون مواطنا (أي فرد من المجتمع) ولكنه يجب أن يرضى على ذلك"[2]، ومن هنا ينتقل الإنسان من كونه طبيعي إلى ذا طبيعة سياسية واجتماعية، فيرى في كتابه رسالة في السياسة "**إن الناس لا يولدون بتاتا وهم أعضاء في المجتمع، ولكنهم يهيئون للعب هذا الدور**"[3] إن سبينوزا على خلاف غيره من الفلاسفة الذين يعتبرون الإنسان حيوان والسياسة أو التجمع، وفرض القوانين هي التي تدفع إلى تعقل هذا المجتمع، هو امن لا عقلاني في نظره فهو يتمسك بالحق الطبيعي للإنسان ولا يسمح للحاكم أن يتحكم في حرية الفرد "فالدولة الكاملة ينبغي ألا تحد من قوة الفرد ألا بمقدار ما تتقي به الخطر هذا الفرد على بنائها"[4]، وبهذا مسموح على الدولة والحاكم التدخل إلا في حالة واحدة إذا كان هذا الفرد خطر على الدولة إلا في حدود قوتها، أي أن حكم الدولة وقوة الحاكم هي قوة طبيعية وهي تعتبر استمرار الوجود– وهذا القانون الطبيعي الذي يسمح الذي يسمح للحاكم بالتحكم في الأفراد ضمن صلاحياته هو قانون سياسي في آن واحد، ولكن يصبح الحق الطبيعي لو أطلقنا له العنان، منحصر بين الشهوة والرغبة التي تتمثل في بذل كل قوة

[1] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة، ص 173.

[2] المرجع نفسه، ص 172.

[3] باروخ سبينوزا، رسالة في السياسة، تر وتق: عمر مهيبل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995، ص 68.

[4] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة، ص 173.

والجهد لحفظ لإبقاء ، وهي الرغبة الجامحة، فتتسلل الكراهية والغضب والحقد وبهذا تصبح صفة استعباد الآخرين تطغو، فهو يرى أن الإنسان يجب أن ينظر إلى غيره على أنه إنسان، وإذا طغت الشهوة والعواطف وساد السلب اضطر المجتمع إلى وضع هذا القانون، لأنه يعلم أن الناس مدفوعون في حياتهم بعواطفهم والعواطف وحدها عمياء لا تدري أين تسوق صاحبها بحيث ينفع ولا يضر الآخرين، فلو كان الناس جميعا مسوقين بالعقل، لما كان للمجتمع حاجة إلى القانون"[1].

فيقول سبينوزا مؤكدا على ذلك "**على أنه يظل من الصحيح دون شك أن من الأنفع كثيرا للناس أن يعيشوا طبقا للقوانين**"[2] أي أن الإنسان لا يجب أن يغير طبيعته البشرية وإلغاء رغباته ، لكن عليه أن يهذبها وفق قوانين العقل لأنه هو من يحقق النفع للبشر ، ولكن مع اختلاف البشر تختلف أهدافهم والأشياء التي تحقق لهم الخير والشر فما هو خير بالنسبة لي قد يكون شرا بالنسبة للآخر، ولهذا يجب على الفرد أن لا يتعدى حرية الآخرين ومن أجل توحد أهداف الناس ويصبح الخير شاملا لابد من عقلنة واحدة، وهذا بتجمع سياسي ونظام قائم وقانون موحد له نتيجة واحدة وهي حفظ بقاء واستمرار الجميع لذلك يقول "**فقد كان لزاما عليهم أن يتفقوا فيما بينهم عن طريق تنظيم وتعاهد حاسم على إخضاع كل شيء لتوجهات العقل وحده**"[3]، وبهذا تطهر أهمية العقل من الناحية السياسية، فالأخلاق يكون هدف، والوصول إليها لا يكون إلا عن طريق السياسة وبهذا ينتظم المجتمع ويتحرر من الرغبة ومن عبودية العواطف عن طريق القوانين السياسية

[1] نفس المرجع، ص 173.

[2] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 370.

[3] المصدر نفسه، ص 380.

التي يضعها العقل وحده فيقول " **الناس يتفقون بطبعهم بصورة أفضل ، عندما يعيشون على مقتضى العقل** " [1].

2- بين الدين والدولة

يقيم سبينوزا ثورة على الدين، فهو نشا في وقت طغت فيه الكنيسة على عقول الناس وأصبحت هي من يتحكم فيهم مثل الدمى ، فغاب العقل فيهم، قال سبينوزا إذا غاب العقل ظهرت الخرافة، وإذا سادت الخرافة ضاع العقل " [2]ومقصده أن هذه المقولة هو الخرافة التي طغت على عقول الأفراد بسبب التفسير الغير العلمي الذي ترجعه الكنيسة لأصل الظواهر الطبيعية ، وبعد أن ساد المفهوم الخطأ للدين ، وأصبح محبوسا بين جدران الكنيسة يفسره القديسون بما يخدم مصالحهم ،وأصبح الناس يرتدون ثوب الدين من أجل التفاخر وأصبحوا يغطون به عن نياتهم السيئة وصار سلعة تباع فيها صكوك من اجل دخول الجنة فكان من الصعب معرفة الأشخاص على حقيقتهم وكذا معرفة عقائدهم.

وانتشرت المفاتن والفساد تحت غطاء الدين فيقول "**انقلب الحماس لنشر الدين إلى شهوة وطموح مزور وتحولت كنائس إلى مسارح لا يسمح فيها الفرد علماء الدين بل خطباء الكنيسة الفصحاء الذين لا رغبة لديهم في تعليم الناس، بل يستهدفون الإثارة والإعجاب بهم ويفرضون تعاليم جديدة لم يتعودها أحد لإثارة دهشة العلوم**"[3]، يبين لنا سبينوزا من خلا لهذا الخطاب أن رجال الدين كانوا يستغفلون الناس تحت مسمى الدين وتعاليم وهذا بخطاب يثير الناس وخاصة من لديهم اعتقاد أن إيمانهم قوي، ومنذ أن أصبحت الديانة المسيحية هي العقيدة الرسمية لأوروبا تستمد قوانينها من الكتاب المقدس،

[1] باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، ص 262.

[2] محمد محمد جواد فعنية، مذاهب فلسفية وقاموس المصطلحات، دار الجواد، ص 13.

[3] باروخ اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 114.

وأصبحت السياسة في قبضة الكنيسة واعتبر القديسون أنفسهم زعماء دينيون ، وكانوا يدعون أنهم يمثلون الله في الأرض فقال "**ياللعجب أصبحت التقوى وأصبح للدين أسرار ممتنعة وأصبح أصحاب النور الإلهي لا يعرفون إلا بشدة احتقارهم للعقل ، وبحطهم من شأن الذهن ونفورهم منه وقولهم أنه فاسد بالطبع**"[1]، وهنا بين أنهم ألغوا العقل وأصبح كفرا بالنسبة لهم ، وهنا اتسمت أوروبا بحكم الدين الذي لبسه الاستبداديون الذين كانوا يعترضون على مراقبة النصوص ويحكمون تحت إخضاع الآخرين ، يقول سبينوزا "**يصل بهم الصلف إلى حد الادعاء المباشر بأن الله قد اختارهم بحيث يضفون على قراراتهم صبغة إلهية**"[2].

كانت هولندا في القرن السابع عشر قد شهدت استقرار نسبي مقارنة مع جيرانها، فقد كانت منطقة تتسم باختلاف الأديان تتعايش في حرية وتسامح وكذا كان حكمها السياسي جمهوري، الذين آمنوا بالتسامح والحرية والاعتراف بالآخر، وقد كان سبينوزا فاعلا وبرز إلى الوجود بسبب تناوله لمشكلة السياسة واللاهوت، ففي تفكير سبينوزا ومشروعه الثوري، الفرد لا يتخلى عن حريته ولديه الحق في اعتناق ما يريد وله حرية التفكير وعلى السلطة والسياسة مهمة الحفاظ على هذه الحرية ، وبهذا يتسنى لنا القول أن سبينوزا كان من الرافضين لمزج الدين بالدولة ، وأنه إذا حكم الدين حسبه سوف تسقط الدولة ، فهو يرى أن أساس سقوط الدولة العبرانية هو فساد الدولة والدين وهذا بسبب التملق والتعصب في بادئ الأمر ، فسدت الدولة بسبب قرارات الحكام التي لم تجدد والمرحلة الثانية بسبب إخلالهم الوعد مع الله ، واستغلوا مكانتهم لإذلال الشعب فنتجت ثورة ضد الأحبار ووقعت المملكة وهذا بسبب تعصبهم يقول ، "**لا يمكن إنكار أن التملق**

[1] نفس المصدر، ص114.

[2] المصدر نفسه، ص 144.

الشديد لأحبار ، وفساد الدين والقوانين بعد أن تضخمت نصوصه بطريقة مذهلة قد أدى إلى إثارة المنازعات المتكررة والخصومات المستمرة ودخل الناس في هذا الجدل بتعصب شديد(...) وصار من المستحيل إرجاعهم إلى حد الاعتدال وأصبح الشقاق بين الفرق أمرا حتميا"[1].

يرى سبينوزا أن الدين يوجد في قلوب الناس ، والدين يكون في طاعة الله فيقول "**لا يوصي الكتاب بأي معرفة، إلا المعرفة اللازمة لجميع الناس حتى يطيعوا الله وفقا لوصيته، وهي المعرفة التي يصبحون بدونها عاصين أو على الأقل يفتقرون إلى كل قاعدة للطاعة**"[2]، إن الدين مهمته هي أن يبين للناس طاعة الله وكيفية ذلك، وهذا أيضا من مهمة الأنبياء ورجال الدين الحقيقيون، ويعرف النبوة على أنها المعرفة اليقينية التي يوحي بها الله إلى البشر عن شيء ما والنبي هو المفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس، الذين لا يقدرون على الحصول على المعرفة اليقينية"، يرى سبينوزا أن الأنبياء يملكون عقول كعامة الناس ولكن مخيلتهم مجرد انطباعات حسية وبهذا النبوة هي أسطورة وهنا هدم سبينوزا سلطة الكتاب المقدس حيث "**قال عقدت العزم على أن أعيد من جديد فحص الكتاب المقدس بلا ادعاء وبحرية ذهنية كاملة ولا أثبت شيئا من تعاليمه أو أقبله، ما لم أتمكن من استخلاص بوضوح تام منه على أساس هذه القاعدة الحذر وضعت لنفسي منهجا لتفسير الكتاب**"[3] في نظره تأسس مفهوم خطأ حيث أصبحت الأفكار الوهمية مع مرور الزمن إلى عقائد صلبة، ومن أهمها أن الإنسان ضعيف ومرتكب للخطيئة ولا يستطيع بلوغ حقيقة الله وعليهم أن يتبعوها كما جاء بها الأنبياء وهذا ما تحتم على العقل البشري الخضوع لتلك المعتقدات وهو يرى بأن المعرفة النبوية غير صحيحة فيقول

[1] نفس المصدر، ص 413.

[2] المصدر نفسه، ص 339.

[3] المصدر نفسه، ص 113.

"**الوحي الذي أرسله الله كان يتغير وفقا لفهم الأنبياء وآرائهم، أن الأنبياء كان يمكن أن يجهلوا بالفعل تلك الموضوعات النظرية الخالصة التي تتعلق بالإحسان والحياة العملية وأخيرا أن آراء الأنبياء كانت متعارضة فيما بينها ، لذلك فلا جدوى على الإطلاق من أن نلتمس لديهم المعرفة بالأشياء الطبيعية والروحية**"[1]، ولذلك هو يدعوا إلى حرية الاعتقاد وحرية التفكير فهو يرى أنه يمكن للإنسان الإيمان بالحرية وكيفما يشاء، والأنبياء مهمتهم إيصال الوحي، أما فيما يتعلق بالمعجزات يرى أنها عمل إلهي يثير الدهشة "ويقرر أن المعجزات التي تستند إليها اللاهوتيين في صحة البيانات تتناقض مع النظام الإلهي وبالتالي هي متناقضة لنفسها والعقيدة المسيحية في الفداء لا يمكن للعقل أن يقبلها لأن اليسوع كان إنسان كسائر الناس وكل ما هنالك أن عقله كان يساير نظام الكون وكانت إرادته متجهة نحو الخير الأزلي"[2] فسبينوزا يرى أن الكتاب لا يروي معجزات بل يحدثنا عن أشياء تقع في الطبيعة فيقول " **فالمعجزات لا تبدوا شيئا جديدا إلا لجهل الناس لأن الكتاب يعلمنا ذلك صراحة ، ولكنه لا يقول في أي من نصوصه ، أن شيء ما يحدث في الطبيعة مناقض لقوانينها**"[3] لكي يهزم سبينوزا رجال الكنيسة أخضعه لقراءة موضوعية ، فهو يرى أن الكتاب هو ما يحقق السعادة ، وذلك من خلال تعاليمه وإخضاعه لتأويل رجال الكنيسة جعل منه أداة لجلب التعاسة وتفسيره على ما تهوى أنفسهم ويحقق لهم مقاصدهم، فتفسير الكتاب بطريقة اللاعقلانية تجعله ينحرف عن مساره ويرى أن النقد التاريخي للكتاب المقدس كشف له أنه قابل للتأويل بأشكال مختلفة وبهذا يصبح كل مأول يعتبر النص المقدس "نصه هو وأن نجد فيه تاليا حقيقته هو حيث نغدوا أمام حقائق تتضارب بعضها البعض وتتقاتل ضد بعضها البعض وبالرغم من ذلك فإنها تظل حقائق

[1] نفس المصدر، ص 162.

[2] عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ص 144.

[3] باروخ سبينوزا، رسالة في السياسة واللاهوت، ص 221.

لدى من اعتقدوها كذلك أن أولئك الذين استنتجوا حقائقهم من خلال عملية التأويل تلك كانوا قد ربطوا بين ضلالتهم وبين ما يبدو"[1] تبين لنا أن النقد التاريخي جاء لكي يبين الخرافات من الحقائق ومن هنا دعا سبينوزا إلى بحث عن منهج لتأويل الكتاب المقدس الذي تمثل فيما يعبد على وجوب فهم اللغة العبرانية وطبيعتها وخصائصها وتجميع الأسعار وفرز وتصنيف الآيات ، فحص السياق التاريخي للكتاب المقدس مع سيرة ذاتية للمؤلف، أما الجانب المعرفي فيرى سبينوزا أن الكتاب المقدس لا يحمل قضايا ذات حقائق يقينية، وأن الأنبياء تستعص عليهم فهمها، ويعرض صعوبات التي تعترض الباحث أثناء البحث، أولا مشكلة اللغة العبرانية وكذا مشكلة الأسفار فهو يقر بأن هناك أسفار لم يصل إلينا منها إلا تراجم وهو يرى بأن الفلاسفة هم من تقتصر لديهم البحث في هذه المعرفة ، لأنها تتطلب كفاءة عقليا عليا.

ومن هنا نستنتج أن الدولة والدين قد تعرض لهما رجال الدين، ومن بين الأمور التي ألح سبينوزا في توكيدها وعانى في حياته يبرر هذا الموقف خير تبرير التسامح في الدولة لقد كان يكره الحروب الدينية والخلافات المذهبية ويأبى على الدولة أن تتخذ أي موقف في أمور الدينية لصالح الدين أو طائفة أو مذهب معين ، ولا يحق لأي فرد أن يتناوله للدولة أو سلطة عن حقه في اعتقاد ما يشاء، هو يؤكد على حرية الاعتقاد.

كما انه يرى أن السياسة ليست من مقاصد الشريعة فيقول " **ألحظ أولا أن الحكم الله لا ينبغي مطلقا تعيين سلطة تشريعية تتمتع بحق السيادة في المجال السياسي**"[2]

فيعود إلى قصة الأحبار حين استولوا على الحكم أصبحوا يسنون القرارات وسلوكات غريبة عن الشريعة فغدا العصيان حتى تهدمه المدينة ، ومن خلال قراءة

[1] منذر الشيباني، سبينوزا واللاهوت، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009، ص 25.

[2] باروخ سبينوزا، رسالة في السياسة واللاهوت، ص 412.

التاريخ العبراني، فهو يقر انه يجب عزل الدين عن الحكم وذلك من أجل الحفاظ على الدين والدولة، ولكنه أيضا يرى انه يجب إخضاع الدين إلى سلطة القانون فيقول أن الدين لا تكون له قوة القانون، إلا من خلال الحق من يتولى التشريع السياسي"[1] فهو يرى "**أن سلطة الأنبياء تجلب التطرف أكثر من الصلاح بسبب الحرية التي استباحوها لأنفسهم وتعرضهم للناس وسبهم وشتمهم ويرى بأن سلطة الملوك هي أفضل من سلطة الأنبياء**"[2] ولهذا أراد سبينوزا إخضاع الكنائس للسلطة العليا، ولكن علاقة الفرد بربه هي حرية شخصية لا علاقة لسلطة بها ويصبح حب الوطن مظهر للإيمان فيقول سبينوزا "لا شك أن الحب المقدس للوطن هو أسمى صورة للشعور بالتقوى يستطيع الإنسان أن يظهرها، فلو زالت الدولة لكان معنى ذلك زال كل شيء خيرًا، ولذلك من مصلحة الدين أن يكون خاضع لمراقبة الدولة، اي الكنيسة ورجالها وذلك دون المساس بحرية عبادة الفرد لربه كيفما يشاء ، لان حرية الدين تتوقف حين يصبح الأمر يخص مصلحة الدولة .

الدولة العلمانية

نستنتج مما سبق أن سبينوزا كان هدفه من الدولة هو حرية وهي حرية العقل والفكر، لهم الحرية في معتقداتهم وهذا يعني أيضا أن تبعية الدين للدولة لا يلغي حرية الأفراد في اعتناقهم الدين الذي يريدونه ولا يعني أنها سوف تفرض تسلطها وجبروتها على الرغبة ولا عليهم أن يعتنقوا الدين الذي يعتنقه الحاكم، بل لها حق الرقابة على الدين من ناحية الكنيسة وما تفرضه على الأفراد وفي نظره الحكومة العادلة حيث يقول "**تكون الدولة عادلة أفضل عندما لا يكون هناك انتهاك للقوانين**"[3]. وكما تطرقنا من قبل أن على

[1] منذر الشيباني، سبينوزا واللاهوت، ص 37.

[2] باروخ سبينوزا، رسالة في السياسة واللاهوت، ص425.

[3] المصدر نفسه، ص375.

المواطن أن يتخلى عن بعض قواه من اجل دولة قوية لكي يتضح فيها بالحرية في التعبير والتفكير، ويقول سبينوزا "**بما أن حكم الله يتلخص في تطبيق أحكام العدل والإحسان أي أحكام الدين الحق ، فيجب إذن التسليم معنا بأن الله يحكم البشر بواسطة السلطات الحاكمة في الدول وحدها**"[1]. إذن الدولة العادلة هي التي تأتي بقوانينها من العقل "وهذا دافع طبيعي ومن هنا كان لابد أن يتفق الناس على العيش في جماعة من أجل تحقيق الأمن والاستقرار والنهوض بالحياة وتثقيف الذهن فالاجتماع البشري يقوم على شخصية المستنيرة"[2].

ومن هنا اتضح لنا أن سبينوزا لم يكن يريد فصل الدين عن الدولة ولا وجود لها في فلسفته فهو يجمع بين ما هو أخلاقي وسياسي، الدين يدعوا إلى الفضائل التي يرجع فيها كما شرحنا في مبحث الأخلاق والاعتدال وهو ما يصفه بالدين الحق، أي الذي لم يخضع لأي تحريف مع دولة تضع قانون عقلي وبالتالي إلغاء دولة تحكم بالكتاب المقدس، لأنه يرى أن مصدر الدولة ليس القانون الإلهي، وعلى الدولة أن تحقق للفرد حرية وفق قوانين تضمن الصالح العام ، وبهذا يمكن للدولة أن تحقق المصالح وهي حمايتها من المخاطر ويتحقق النمو والتطور ، وبهذا بعد ذكر أهمية سلطة الدولة على دين وكيف يرتقي ثقافيا من أجل تنشئة فرد قادر على التحكم في انفعالاته وتفعيل عقلانيته لتصبح إرادة تفيد الصالح العام ، لابد من وجود نظام حكم الذي يوفر للفرد الإرادة في الاستمرار في الوجود ضمن أخلاقيات المنشودة عند سبينوزا النظام الأمثل هو الديمقراطية، فما هي الديمقراطية؟

[1] نفس المصدر، ص 324.

[2] عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية ، ص 134.

الديمقراطية هي "نظام سياسي أين تكون السلطة بيد جميع المواطنين، دون تمييز في الجنس أو الثروة أو القدرة"[1] كما يعرفها جميل صليبا : الديمقراطية لفكظ مؤلف من كلمتين يونانيتين، أحدهما ديموس ومعناه: الشعب، والآخر (كراتوس) ومعناه سيادة، فمعنى الديمقراطية إذن سيادة الشعب، وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين، لا للفرد، أو لطبقة واحدة منهم، ولهذا النظام ثلاثة أركان: الأول: سيادة الشعب، الثاني: المساواة والعدل، والثالث: الحرية الفردية والكرامة"[2]، إذن الديمقراطية هي التي تسمح للأفراد ممارسة حقوقهم المدنية، التي هي في الأصل حقوق ذات طابع سياسي تسمح للمواطن حرية والحق في التفكير حيث يقول سبينوزا "**فإذا كانت العبودية الأذهان مقبولة في النظام الملكي فكيف يمكن قبولها في نظام الديمقراطي، أي نظام في نظام تكون فيه السلطة للشعب**"[3]، ولقد دافع سبينوزا عن هذا النظام "وأكد أن النظام الديمقراطي وهو الذي يكفل للفرد أعظم قدر من الحرية ، ويكفل للقوانين الاقتراب من العقل السليم، فنفي الديمقراطية لا يخشى من اللامعقولة"[4]، وبهذا فالديمقراطية كنظام هي التي تضمن حرية الأفراد.

ومن هنا بين لنا سبينوزا أن النظام الملكي هو نظام الاستعباد والديكتاتورية، ونظام الديمقراطي هو نظام الحرية " فالديمقراطية أفضل أنواع الحكومة، لأن سلطات الحكومة الديمقراطية يمتد إلى أعمال الناس وعقولهم وتفكيرهم، وبما أن الناس يختلفون في تفكيرهم فغن الصوت الأكثرية هو القانون"[5]. وبهذا يتبين لنا أن الديمقراطية هي التي

[1] André Lalande , Vocabulaire Technique de la Philosophie. 18e édition. PUF 1996. Paris. P215.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص569-570.

[3] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص103.

[4] فؤاد زكرياء، إسبينوزا، ص 231.

[5] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 129.

تحقق للفرد حريته وهي الوسيلة لذلك ، ولكن الديمقراطية كما يرى سبينوزا ، يجب أن تخضع دائما للتطور والتجديد، حيث يقول "**إن ما توخيته من دراستي للمشاكل السياسية ليس اختراع الجديد أو الوصول إلى المستحيل ولكني سعيت فقط إلى شرح النظرية التي يمكن أن تكون أكثر انسجاما**"[1]، حيث أن سبينوزا يرى بأنها أقرب إلى حالة الطبيعة " ولكن لو وجهنا نظرنا إلى الديمقراطية وعن طريق عجزها في حصر المناصب في الدولة في أصحاب الكفاءات والمؤهلات، والخبرة والبراعة لأن الحكمة ليست في كثرة الناس، وقد ينتخب الشعب أكثر الناس بلاهة"[2].

لكن بالنسبة لسبينوزا الديمقراطية تتحقق إلا في ظل سلطة الدولة والحكمة منها أنها تسمح للشعب إتباع القانون بمحض إرادته فيقول "**لهذا المجتمع الحق الطبيعي المطلق على كل شيء، أي السلطة المطلقة في إعطاء الأوامر التي يتعين على كل فرد أن يطيعها، إما بمحض اختياره غما خوفا من العقاب الشديد**"[3]، أي أنه ليس له الحرية في مخالفة القوانين، القانون فوق الجميع لأنه هو من يحفظ للفرد حريته ، وكذا قيام الأفراد بواجباتهم اتجاه الدولة وهذا من أجل حماية الدولة من الهمج فكما هم متفقون على حقوقهم فهم متساوون في واجباتهم والدولة الديمقراطية في نظر سبينوزا هي من تسمح لبربري أن يصبح متمدن لأنها تمشي وفق قانون يحمي الصالح العام والقانون الصادر من العقل هو الذي يمحي اللامعقولية فيهم، فيقول "**الغاية التي ترمي إليها الديمقراطية، تخليص الناس من سيطرة الشهوة العمياء والإبقاء عليهم بقدر الإمكان في حدود العقل بحيث يعيشون في سلام**"[4]، ويذهب سبينوزا متأثرا بهوبز على أنه يجب في الديمقراطية إبرام

[1] باروخ سبينوزا، رسالة في السياسة، ص 31.

[2] كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ص 129.

[3] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص372.

[4] المصدر نفسه، ص 337.

عقد اجتماعي بموجبه يسيرون ضمن اتفاق على أن العقل هو الذي يسير وفق العقل ويحفظ صالح غير كما يحفظ نفسه فيقول في كتابه رسالة في السياسة " الإنسان الأكثر قوة الأكثر استقلال في الحالة الطبيعية هو ذلك الإنسان المقود من طرف العقل وأن الأمة الأكثر قوة والأكثر استقلالا هي تلك الأمة التي تجعل من العقل مبدأ تشريعيا وقاعدة عمل[1] فمن صفات التحضر في المجتمع المدني وانتقاله من الحالة الطبيعية هو تحكم العقل والحرية التي يتخلى عنها الفرد أو بعض من قوته.

ومن هنا نرى أن سبينوزا جعل من الديمقراطية ثقافة تتعلم وليست كما نراها اليوم ديمقراطية تتحكم في تفكيرنا لا تصرفاتنا وتصرفاتنا هي التي لها حرية فأصبحت فوضى لا ثقافة وأصبحت سياسة تحكمها سلطة وحكام هم من الدجالين والسارقين والديمقراطية عنده هي نظام ثقافي أخلاقي سياسي يتحكم فيه العقل فيكون غاية الدولة الحرية وغاية الفرد حفاظا على الصالح العام وتصبح العقلانية المتوازية من كتابه الأخلاق متجهة إلى كتبه رسالة في اللاهوت والسياسة هي بمثابة سبيل ينير للفرد حياته من حالته الطبيعية وأصل الوجود وعلاقته بربه غلى صيرورته في الحياة وأخلاقياته وكبحه لانفعالاته وطريقة معاملته مع غيره وإثبات قوته وعن طريق العقل لكي يتحرر من خرافات الكنيسة ويؤسس لنفسه مجتمع مثقف قائم على الحرية، هدفه الصالح العام إلى دولة ديمقراطية سويا تضمن له تعزيز قوته على الفعل والمثابر على الوجود وفق اتفاق اجتماعي وفضاء يضمن التعاون والتآزر في المجتمع مع حرية الاعتقاد وهذا كله لا يكون إلا عن طريق العقل السليم فيقول "**يحدث في الديمقراطية عندما يقرر الجميع باتفاق فيما بينهم – كما رأينا من قبل– أن يعيشوا طبقا لنظام العقل وحده**"[2].

[1] المصدر نفسه، ص53.

[2] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 423.

الخاتمة

في ختام هذا البحث ارتأينا عرض بعض النتائج والمفاهيم الأساسية في عقلانية سبينوزا أو بالأحرى الذي توصلنا إليه من خلال بحثنا حول أبعاد النظرية العقلانية السبينوزية والتي نستخلصها إجمالا في ما هو آت:

- أعطى سبينوزا الدور الكلي والكامل للعقل في مسائل فلسفية.

- جعل مهمة إدراك الله والجوهر وإدراك صفاته اللامتناهية وسبب إدراك الوجود مهمة العقل.

- يعتبر سبينوزا صوفي يعتمد على المعرفة العلمية للميتافيزيقا.

- مشروع سبينوزا الأخلاقي لعب دورا هاما في القرن السابع عشر وذلك بتحويل المعاني الأخلاقية إلى مفاهيم نسبية تتحدد وفق غايات ورغبة الإنسان وجعلها قائمة على أسس علمية حيث أنه ثار على أسس فكرية أخلاقية القائمة آنذاك.

- تضمنت فلسفة سبينوزا الأخلاقية مشكلات عامة ومشكلات خاصة ببيئته ربطها ببعضها بعض لتأخذ بعد إنساني وكوني قائم على ضوابط علمية فلسفية.

- يعتبر سبينوزا ثائر على الفكر الديني القائم في القرن السابع عشر حيث أحدث تطور في الفلسفة خاصة والفكر والعقائد عامة، حيث أنه دمج بين الصوفي والعالم بثوب واحد.

- تميز سبينوزا باستقامة أخلاقه إلا أنه كان منبوذا مطرودا من قبل مجتمعه.

- جعل دور لله والطبيعة في تحديد السعادة البشرية وهذا بإدراك الله والإيمان به عن طريق العقل (الحب العقلي لله) من أجل تهذيب العواطف والوصول إلى السعادة الروحية.

– الله علة وجوده في ذاته وهو علة لكل معلول وأنه الجوهر الوحيد والصفة هي ماهيته ويمكن أن يتصور شيء بدونه، فالله موجود بالضرورة.

– اعتمد سبينوزا على المنهج الهندسي لأنه يتميز بصرامة قوانينه في فترة كانت الرياضيات من العلوم العقلية والثابتة الدقيقة لهذا اتخذ سبينوزا الطابع الرياضي لكي تكون أفكاره الأخلاقية دقيقة وعميقة كالفيزياء والرياضيات.

– يرى سبينوزا أن الإنسان يتأثر بأخلاق بيئته خاضعا لما يسمى بالأنسنة وفي الوقت نفسه أنه طبيعة إنسانية ثابتة والذي يتطور من الأخلاق هو القضايا والمفاهيم التي ينتجها العصر وتكيف ضمن قوانين العالم الثابتة ولهذا كان سبينوزا وليد عصر تميز بالتطور العلمي استخدم المنهج العلمي الهندسي ضمن مفاهيم أخلاقية كلاسيكية.

– يرى سبينوزا أن الحرية تكتسب وهذه الحرية مرتبطة بالمعرفة وهي في حد ذاتها هي التي تحدد مقدار حريته.

– الحرية في نظر سبينوزا ليست تحرر من قيود المجتمع أو خروج عن نطاقه القانون بل هي تحرر الإنسان من عواطفه الجامحة التي لا يتحكم فيها إلا بالعقل (المعرفة العقلية لله) لكي يكتسب الحب العقلي لله.

– يرى سبينوزا أن الإنسان مهيأ بطبعه للنظام الاجتماعي لأنه وليد الغرائز وهي بدورها تحتاج لقوانين لكبحها.

– يرى سبينوزا أن الدولة يجب أن تتحكم بالفرد إلا بما تتقي بها شره وأن على الفرد أن يتخلى من بعض حريته للدولة.

– على الدولة أو الحاكم أن لا يتدخل في حرية التفكير والاعتقاد لدى الفرد (حرية فكرية من أجل استمرار الوجود).

– في ظرف طغت فيه الكنيسة على العقل جعل سبينوزا الكنيسة تحت تصرف الدولة لأنه من مصلحة الدين في رأيه أن يكون خاضع لرقابة الدولة.

يرى أن الديمقراطية هي النظام الأمثل للحكم لأنها تحفظ لهم حريتهم وعليهم هم طاعة الدولة للحفاظ على حريتها وهذا بجعل العقل مبدأ تشريعي وقاعدة عمل لكي تصبح الديمقراطية هنا ثقافة.

وبهذا نتوصل إلى أن للعقل دور في الاعتقاد بالله وفي السيرورة الأخلاقية وفي نظم الحكم كما يقول سبينوزا "**إذا غاب العقل سادت الخرافة**"، والثورة الفكرية التي أثارها سبينوزا في مجال الوجود والإيمان العقلي جعل طائفته تطرده وتتهمه بالإلحاد، على خلاف الطبقة المثقفة التي آمنت بأفكاره.

وفي الأخير لا يسعني إلا القول أن عقلانية سبينوزا كانت مشروع أخلاقي علمي حول مسار الفكر الإنساني الفلسفي حيث يقول هيغل "**إما أن يكون المرء سبينوزيا أو لا يكون فيلسوفا على الإطلاق**".

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. باروخ اسبينوزا: علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس.
2. باروخ سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر ، تونس دون طبعة، دون تاريخ.
3. باروخ سبينوزا، رسالة في السياسة، تر وتق: عمر مهيبل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995.
4. باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر وتق: حسين حنفي، مر: فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر، 2005.
5. باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس.

المراجع:

6. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1982.
7. إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001.
8. أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2011.
9. براتراند راسل، تاريخ الفسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنطي، المصرية العامة للكتاب، 2002.
10. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

11. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
12. جون كوتنغهام، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1997.
13. جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ج1، تر: جورج طعمه مـــرا وبرهان الدين الرجاني، دار الثقافة، بيروت.
14. حاج دواق، الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 2016.
15. خوني ضيف الله، حميدي لخظر، دراسات وأبحاث في الفلسفة، العربيـــة الحديثة والمعاصرة، تقديم زروخي الدراجي، دار صبحي للطباعة والنشر، 2014.
16. زروخي الدراجي، المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، 2015.
17. زكـــي نجيـــب محمـــود، قصـــة الفلســـفة الحديثـــة، لجنـــة التـــأليف والترجمة،1932.
18. زيد عبد الكريم: اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
19. ستيوارت هامبر: عصر العقل القرن السابع عشر، تر: ناظم طحان، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، 1986.
20. عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، ط1، المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر، 1984.
21. عبد القادر جموسي ، حياة سبينوزا، من الطائفـــة إلـــى الدولـــة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2012.

22. فرانسيس وولف، أرسطو والسياسة ، ترجمة أسامة الحـــاج ، المؤسســـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ط1، 1994.
23. فؤاد زكرياء، اسبينوزا، ط2، دار التنوير للطباعة والنشـــر والتوزيـــع، بيروت، 2005.
24. كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
25. محمد محمد جواد فعنية، مذاهب فلســـفية وقـــاموس المصـــطلحات، دار الجواد.
26. معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، مجلـــد 1، ط1، 1987.
27. منذر الشيباني، سبينوزا واللاهوت، منشـــورات وزارة الثقافـــة، الهيئـــة العامة السورية للكتاب، 2009.
28. ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديبي، تـــر: فـــتح الله محمد مشعشع، مكتبة معارف، بيروت.
29. وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
30. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعلـــيم والثقافـــة، القاهرة، 2012.

فهرس

الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: خلفية التاريخية للعقلانية السبينوزية

المبحث الأول: دلالة العقل والعقلانية 7

العقل 7

العقلانية 13

العقل عند سبينوزا 15

المبحث الثاني: التطور الفكري لــ سبينوزا 18

حياة سبينوزا وتأثراته الفكرية 18

تشريد اليهود له 25

مؤلفاته 27

عزلته و موته 30

التيارات الفلسفية المؤثرة في فكر سبينوزا 33

الفصل الثاني: ملامح عقلانية في فلسفة سبينوزا

المبحث الأول: اللاهوت 41

الله وصفاته 42

الاحوال 51

الله والطبيعة 54

الانسان"العقل والجسم" 58

المبحث الثاني:الاخلاق 62

المنهج الهندسي 63

الاخلاق النظرية (الحرية والسعادة) 68

المبحث الثالث:السياسة 76
من الطبيعة البشرية الى التجمع المدني..... 77
بين الدولة والدين 81
الدولة العلمانية 86
الخاتمة 92
قائمة المصادر والمراجع 95